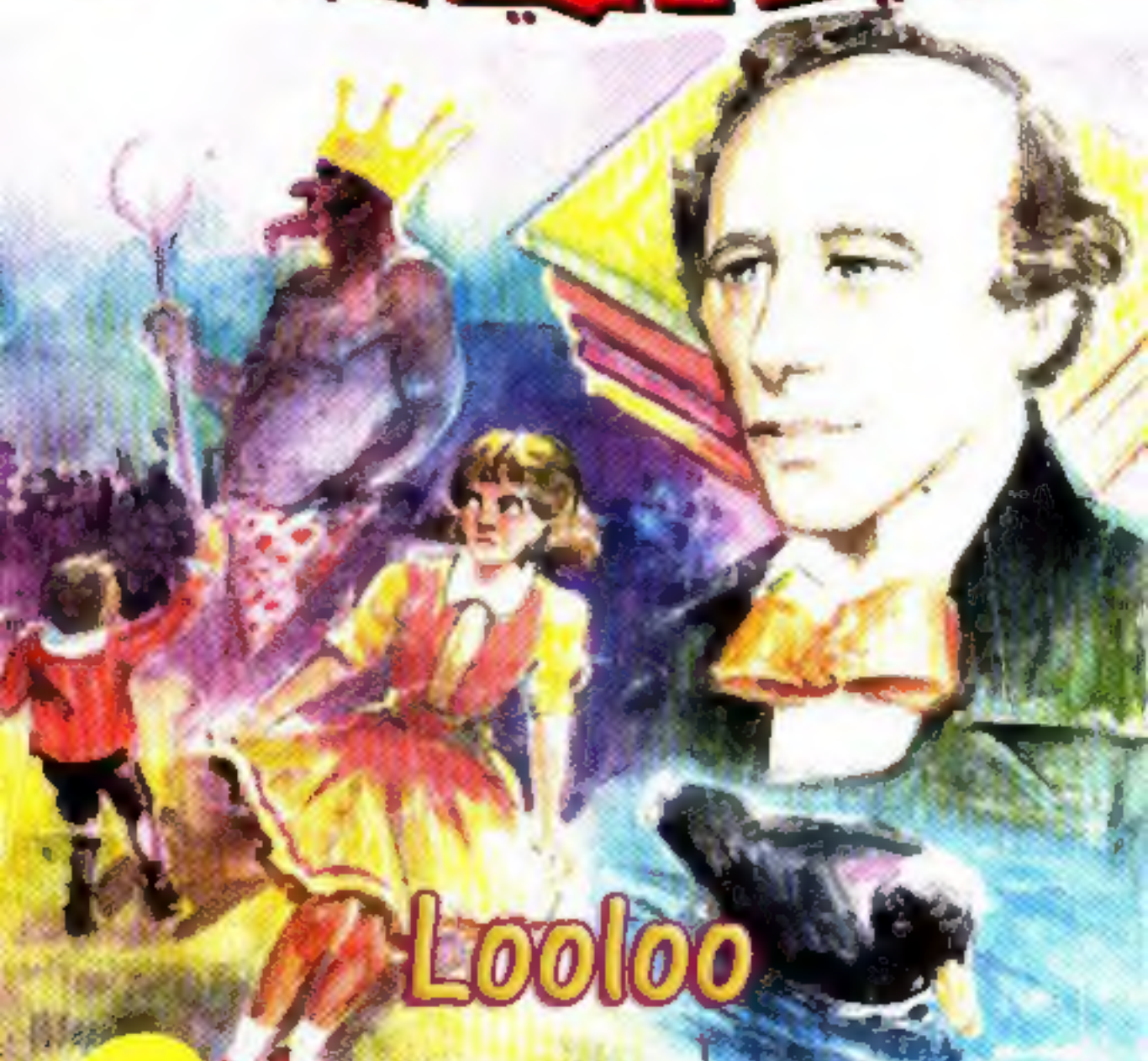


55

روايات عالمية للجيب



Looloo

www.dvd4arab.com

يفلم : هانز كريستيان أندرسن
ترجمة واعادة :
د. احمد خالد توفيق

حكايات أندرسن

المؤلف



مهما كتبت جنسيتك أو ثقافتك ،
فلابد أنك تحمل في جزء من خلايا
عقلك بعضاً من إبداعك (هقز
كريستيان أندرسن Hans
Christian Andersen) . هل شعرت
يوماً ما بأنك (القبطة الصغيرة
القييحة) ؟ هل سمعت تعبير
(الإمبراطور عار تلعماً) عندما

يعلن أحدهم حقيقة يخشى الناس الاعتراف بها ؟ هل
رأيت فيلم الرسوم المتحركة (عروس البحر الصغيرة) ؟
إن أنت قد دخلت ذلك العالم الساحر دون أن تعرف .

لقد ترجمت القصص الخيالية لهذا العبقري إلى أكثر من
٨٠ لغة ، وقد استلهمت منها مسرحيات وعروض باليه
وأفلام سينمائية ..

كتبنا العبقري ديمركي الجنسية ولد عام ١٨٠٥ لأب متعلم
يعمل إسكافياً ، وأم تعمل غسالة . وقد فتحت هذه الأم
غير المتعلمة المؤمنة بالخرافات عيني الصبي على عالم

روايات عالمية العجب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أدوع ما يزخر به الأدب
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من القروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
واليك ..

د. نبيل فاروق

التراث الشعبي . فيما بعد لقيت هذه الأم نهايتها بسبب الإفراط في الكحول في دار خيرية للفقراء المسنين . تلقى (أندرسن) أقل القليل من التعليم بالإضافة إلى مشاكله النفسية بسبب طوله المفرط وعينه المتقاربتين وعلامحه الأنثوية نوعاً . وكان يصاب بنوبات هياجية شخصها الأطباء تشخيصاً خاطئاً على أنها صرع .

كانت علاقته بأبيه حميمة فعلاً ، فقد اضطحبه أبوه إلى المسارح وحكى له (ألف ليلة وليلة) وكان يصنع له عرائس ووسائل تسلية مختلفة . يقول (أندرسن) في مذكراته : « في تلك اللحظات فقط كنت أرى أبى سعيداً .. هو الذى كان محبباً دوماً بسبب العمل اليدوى الذى لا يراه يناسبه . لقد استوليت عليه بالكامل لنفسى .. »

بعد وفاة أبيه اضطر لأن يعمل ليعول نفسه . انتقل إلى (كوبنهاجن) العاصمة في الرابعة عشرة من عمره ، حيث عمل حرفياً وتحمل سخرية أقرانه الذين كانوا يعتبرونه فتاة متخفية . مارس بعض الوقت مهنة الفناء والرقص في المسارح ، فقد كان له صوت (سوبرانو) جميل . وفى العام ١٨٢٢ بدأ يقدم أعماله الأدبية .. فى العام ١٨٢٧ حصل على منحة للدراسة في جامعة (كوبنهاجن) . فى هذه

الفترة وقع فى الحب .. وكانت فتاة رقيقة اسمها (ريبورج فويت) بادلته الحب ، ثم - كالعادة - سرعان ما تزوجت أول عريس مناسب .. وحينما مات عام ١٨٧٥ وجدوا حول عنقه كيساً جلدياً يضم رسالة كتبتها له منذ نحو خمسين عاماً . بالمناسبة لم يتزوج (أندرسن) قط .

كانت أولى أعماله الناجحة هي (رحلة على الأقدام من قناة هولمان إلى الطرف الشرقى من جزيرة أماجير خلال الأعوام من ١٨٢٨ إلى ١٨٢٩) ! نعم .. لا يوجد خطأ .. هذا هو اسم العمل وليس خبراً فى جريدة ..

ثم قدم لنا روايته (المرتجل) . وقد سافر كثيراً جداً وكتب أكثر .. قبل (فكتور هوجو) و (بلزك) فى فرنسا ، وذهب إلى ألمانيا ليرى (جوته) لكنه لم يقابله ، وقابل (ديكنز) فى إنجلترا باعتباره تلميذاً منبهرًا بأستاذه . من الغريب أن (ديكنز) العظيم استلهم منه فيما بعد أعماله (الأجراس) و (ترنيمة كريسملس لثنائية) .. كما نرى بصمت (أندرسن) واضحة فى قصص (لوسكر وليد) « الأمير السعيد » و « قلوبل والوردة » .. أى أنه أضاف لأساتذته أكثر مما أضافوا له .

إن قصص (أندرسن) الخيالية للأطفال هي الشيء الذى

منحه شهرته ، وبها اتخذ مكانه إلى جوار الأخوين (جريم) و (لويس كارول) وغيرهم من سحرة الأطفال . وقد قدم لنا في تلك القصص أسلوباً مبسطاً أخفى وراءه معاني فلسفية عميقة ودروساً متكررة ، وهو ما يختلف عن قصص الأطفال الوعظية المعتادة . وسوف نلاحظ الدرس المعتاد في كل مرة : إن أدب الأطفال والشعر متقاربان أو هما نفس الشيء في الواقع . إن قصصه اعتبرت استكمالاً لقصص الأخوين (جريم) و (ألف ليلة وليلة) لكن من بين ١٥٦ قصة حكاها (أندرسن) كانت هناك ١٢ قصة فقط من التراث الشعبي ، وهذا ليس الحال مع الأخوين (جريم) اللذين اتهمهما النقاد بعدم الأصالة . وسوف نلاحظ في كل قصصه أن الأطفال والمنبوذين يتكلمون الحقيقة وهم صوت العقل مجسماً . كان (أندرسن) فقيراً وتعباً جداً ، لذا قدم لنا غالباً تلك النماذج التي تصل إلى السعادة بعد طول شقاء .

إن أكثر قصصه تنتهي نهايات سعيدة باستثناء نماذج قاسية مثل (بائعة الثقاب الصغيرة) . ويبدو أنه ظل حتى نهاية حياته يعتبر نفسه (البطلة الصغيرة القبيحة) .

هذا بين العابرة الذين تدخل عُقد صباهم المصهر لتتحول إلى ذهب يبقى للأبد بعد رحيلهم .

د. أحمد خالد توفيق

للمهتمين بمعرفة المزيد عن (هانز كريستيان أندرسن) وقراءة معظم أعماله بالإنجليزية ، أقترح هذا الموقع على شبكة الإنترنت :

<http://falcon.jmu.edu/~ramseyil/andersen.htm>

والمهم كذلك أنه يحوى روابط لمواقع أخرى عديدة .

ثياب الإمبراطور الجديدة

منذ أعوام عديدة كان هناك إمبراطور مولع للغاية بالثياب الجديدة ؛ حتى إنه أنفق كل ماله على الثياب . ثم يهتم البتة بجنوده ولم يبال بالذهاب إلى المسرح أو الصيد . فقط كان يختار المناسبات التي تتيح له أن يعرض ثيابه الجديدة . وكانت لديه حلة مختلفة لكل ساعة من اليوم ، وكما اعتكنا أن نقول عن أي ملك أو إمبراطور آخر : « إنه في المجلس » ، كان يقال عن هذا الإمبراطور : « إنه يجلس في خزنة الثياب . »

مر الزمن السعيد على المدينة الكبيرة التي كانت عاصمة إمبراطوريته ، وكان الغرباء يتون كل يوم إلى البلاط .. وذات يوم ظهر محتالان يطلقان على نفسيهما نساجين ، وأعلنا أنهما يجيدان نسج ثياب باهرة الجمال منقطة للتصاميم .. وأن الثياب التي ينسجتها تمتاز بأنها شفافة لا يراها إلا من كان غير صالح لمنصبه ، أو كان ساجداً إلى درجة تفوق الوصف .

فكر الإمبراطور :

« لابد أن هذه الثياب رائعة ! لو كانت عندي حلة كهذه لأمكنني أن أعرف الموظفين الذين لا يصلحون لمنصبهم . »

ولأمكنني أن أميز الحكيم من الأحمق ! يجب أن ينسجوا لي هذا النسيج حالاً . »

وأمر بأن يمنح النساجان مبالغ هائلة من المال كي يبدءوا العمل حالاً .

نصب النساجان المدعيان نولين وشرعا في العمل باتهماك شديد ، برغم أنهما في الحقيقة لم يكونا يفعلان أي شيء .. طلبا أرق أنواع الحرير وأنقى خيوط من ذهب ، فكثرا يضعان هذه الأشياء في الحقيقتين على ظهريهما ، ثم يواصلان النسج حتى ساعة متأخرة ليلاً ..

قال الإمبراطور لنفسه :

« أراغب في معرفة ما قام به النساجان في ثيابي . »

بعد قليل شعر بالحرص حينما تذكر أن المغفل أو الشخص غير الجدير بمنصبه لا يرى هذا النسيج . وكى يتأكد قرر أنه لن يخسر شيئاً لو جرب بنفسه ، لكنه فضل أن يرسل شخصاً آخر يتحرى له عن النساجين وما يقومان به من عمل .

كان الجميع في المدينة قد سمعوا عن تلك الخاصية الفريدة للثياب ، وتمنى كل واحد أن يرى مدى حكمة أو مدى جهل جيرانه .

قال الإمبراطور في النهاية بعد تدبر طويل :

- « سأرسل وزيرى المخلص العجوز إلى النسلجين .. سوف يكون أفضل من يرى الثياب .. إنه رجل عاقل نكى ولا يمكن أن يكون هناك شخص جدير بمنصبه أكثر منه . »

هكذا ذهب الوزير المخلص إلى القاعة حيث كان المحتالان يعملان بكل قوتهما ، على النولين الفارغين .

فكر العجوز وهو يفتح عينيه عن آخرهما :

- « ما معنى هذا ؟ لا أرى خيطاً واحداً على هذين النولين . »

لكنه لم يعلن عن أفكاره بصوت عال .

طلب منه النصابان أن يتكرم بالدنو من النولين ، ثم سألاه عما إذا كان التصميم يروق له ، وعن رأيه فى الألوان . قالوا هذا وهما يشيران إلى النول الفارغ . نظر الوزير المسكين ونظر لكنه لم ير شيئاً على النولين ، لسبب بسيط هو أنه لم يكن هناك شيء . وفكر ثانية :

- « هل من المعقول أن أكون مغفلاً ؟ لم أحسب نفسى هكذا قط .. ولا يجب أن يعرف أحد هذه الحقيقة الآن ..

إن أنا لا أصلح لمنصبى .. هذا لا يجب أن يقال كذلك .. لن أعترف بأننى لم أر القماش . »

تساعل أحد النصابين متظاهراً بأنه ما زال يعمل :

- « حسن يا سيدى الوزير ؟ لم تقل ما إذا كان القماش يروق لك . »

أجاب الوزير العجوز وهو ينظر للنول عبر عويناته :

- « آه إنه رائع .. التصميم والألوان .. سأخبر الإمبراطور بلا تأخير كم هى ثياب رائعة ! »

قال المحتالان :

- « سوف نكون ممتنين لك . »

ثم راحا يصفان الألوان وتصاميم الثياب المرتقبة . وراح الوزير العجوز يصفى بقتباه لما يقولان على أساس أن يقول هذا الكلام للإمبراطور ، ثم طلب النصابان المزيد من الحرير والذهب لاستكمال ما بدءاه . لكنهما وضعاً كل ما نالاه فى حقيبتيهما . وواصل العمل بذات الكد أمام النولين .

أرسل الإمبراطور الآن ضابطاً آخر من بلاطه ليرى ما حققه الرجلان ، وليتأكد من قرب انتهاء الثياب ، وقد فعل الرجلان مع هذا السيد ما فعلاه مع الوزير ، لقد تفحص النولين فلم ير شيئاً إلا إطارات فارغة .

سأل النصابان مبعوث الإمبراطور الثاني وهما يقومان
بذات الحركات :

- « هل تبدو الثياب جميلة في عينيك كما بدت لسيدى
الوزير ؟ »

فكر المبعوث :

- « أنا بالتأكيد لست أحمق .. لكن من الجلى أننى غير
مناسب لمنصبى الطبيب المربح .. لا يجب أن يعرف أحد
بهذا . »

هكذا راح يمتدح الثياب التى لا يراها ، ويطرى ألوانها
وتصميمها . وقال للإمبراطور لدى عودته :

- « الثياب التى بعدها التساجان يا صاحب الجلالة
الإمبراطورية رائعة . »

راحت المدينة كلها تتكلم عن الثياب الرائعة التى طلب
الإمبراطور أن تتسج له على حسابه .

الآن صار الإمبراطور نفسه مشوقاً إلى أن يرى الثياب
الباهظة ، وهى ما زالت على النول . ذهب إلى هناك مصحوباً
بعدد من ضباط البلاط المختارين بينهم السيدان اللذان أعجبا
بالثياب . فما إن شعر المحتالان بقدوم الإمبراطور حتى راحا
يعملان بكثرة . برغم أنهما لم يمررا خيطاً واحداً فى النول .

قال أحد الضابطین :

- « أليس العمل رائعاً ؟ لو تفضلت يا مولاي بالنظر
إليه .. يا له من تصميم مذهل ! يا للألوان المجيدة ! »

وأشارا إلى الأطر الفارغة . لأنهما حسبا أن الجميع
قادرون على رؤية هذا العمل المتقن .

قال الإمبراطور لنفسه :

- « كيف هذا ؟ لا أرى شيئاً ! هذه مسألة فظيعة ! أنا
رجل سلاح لو لا أصلح لأكون إمبراطوراً ؟ هذا أسوأ ما يمكن
أن يحدث .. آه إن الثياب رائعة ! »

وبصوت عال قال :

- « إنها قد ظفرت باستحسانى الكامل ! »

ونظر إلى النول الفارغ . لن يعترف تحت أية ظروف
بأنه لم ير ما رآه الضابطان وامتدحاه . جاهد كل رجال
الحاشية وحاولوا أن يروا شيئاً على النول ، لكنهم لم يروا
إلا ما رآه الآخرون ، لكنهم صاحوا فى عجب :

- « يا للجمال ! »

ونصحوا جلالتهم بأن يصنع ثياباً جديدة من هذا القماش
المذهل من أجل الموكب القادم . ودوى فى كل مكان :

- « رائع ! خلّاب ! ممتاز ! »

وانتاب المرح الجميع .. وشارك الإمبراطور في الرضا العام وقدم شريط الفروسية للمحتالين كي يضعاه في عروتيهما ، كما منحهما لقب (السيدان النساجان) .

قضى النصابان الليلة كلها قبل موعد الموكب ، وأوقدا ستة عشر مصباحاً كي يرى الجميع مدة لهفتيها لإنهاء ثياب الإمبراطور الجديدة .

تظاهرا بأنهما يلفان الثوب ليرفعا عن التول ، وقصا قهواء بمقصيهما وخاطا الثوب بإبرة بلا خيط . وفي النهاية صاحبا :

- « ثياب الإمبراطور الجديدة جاهزة ! »

الآن جاء الإمبراطور مع كبار بلاطه إلى النساجين ، ورفع النصابان أذرعهما كأنما يحملان شيئاً . وقالا :

- « هو ذا سروال جلالتيك . هو ذا الوشاح .. هي ذي العباءة .. إن الثوب خفيف كنسيج عنكبوت .. قد يتصور المرء أنه لا يضع ثوباً فوقه ولكن هذه مزية هذا الثوب الرقيق . »

قال رجال البلاط برغم أن أحدهم لم ير هذا الثوب الخلّاب :

- « نعم .. بالفعل . »

- « لو تفضلتم جلالتيكم بخلع ثيابكم .. سوف نضع الثياب الجديدة عليك أمام المرأة .. »

من ثم نزع الإمبراطور ثيابه وتظاهر لمحتالان بأنهما يكسوقه بالثياب ، والتفت الإمبراطور من جانب لآخر أمام المرأة .

صاح الجميع :

- « ما أروع مظهر جلالتيكم في الثياب الجديدة ، وكم تناسبكم ! ياله من تصميم .. يا لها من ألوان ! إنها ثياب ملكية بحق . »

قال رئيس المراسم :

- « إن المظلة التي ستظل جلالتيكم في الموكب بانتظاركم . »

قال الإمبراطور :

- « أنا متأهب .. هل ثيابي الجديدة مناسبة ؟ »

قلها وهو يدور حول المرأة كأنما هو يتفحص الثياب بدقة .

فحنى الوصيفان اللذان كتبا سيحملان حاشية جلالته على الأرض ، كأنما هما يرفعان طرفي العباءة ، وتظاهرا بأنهما يحملان شيئاً ، فما كان أحدهما ليكشف عن غيابه أو عدم أهليته لمنصبه ..

مشى الإمبراطور تحت مظلته العالية وسط الموكب ، عبر شوارع العاصمة ووقف الناس جميعاً ..

وصرخ من في النواقد :

« آه ! ما أجمل ثياب إمبراطورنا الجديدة ! لشد ما يتكلى هذا الوشاح في روعة ! »

باختصار لم يجسر أحد على الاعتراف بأنه لم ير هذه الثياب ، لأنه لو اعترف بهذا لاعترف كذلك بأنه غبي أو غير جدير بمنصبه . لم يحدث أي ثوب للإمبراطور ما أحدثته هذه الثياب غير المرئية .

قال طفل صغير :

« لكن الإمبراطور لا يلبس شيئاً ! »

صاح أبوه :

« أصغوا لصوت البراعة ! »

وسرعان ما تهاشم الناس بما قاله الطفل .

في النهاية صاح الناس :

« لكنه لا يلبس شيئاً ! »

شعر الإمبراطور بالغضب .. لأنه كان يعرف أن الناس محقون ، لكنه قرر أن الموكب يجب أن يستمر ! وبذل الوصيفان جهداً أكبر كي يبدو أنهما يحملان حاشيته ، برغم أنه في الواقع لم تكن هناك عباءة بمسكان بها .

مربي الخنازير

كان هناك أمير فقير لديه مملكة . وكانت مملكته صغيرة جداً لكنها كانت كبيرة بما يكفي للزواج ، وقد كان الأمير يصبو لهذا .

كان من الفظاظمة بمكان أن يقول لابنة الإمبراطور : « هل تأخذينني لك ؟ » ، لكنه فعل ذلك ؛ لأنه كان شهيراً وكانت هناك مائة أميرة يمكن أن تجيب بالموافقة ، ونقول : « شكراً لك » لكن دعنا نسمع بم أجابته تلك الأميرة .

استمع !

الحكاية أنه حيث دفن والد الأمير ، كانت هناك شجرة ورد .. شجرة ورد رائعة الجمال تزهو مرة كل خمسة أعوام ، وعندها لا تزهو إلا وردة واحدة .. لكن أية وردة !! كانت رائحتها رائعة لدرجة أن كل من يشم عبيرها كان ينسى همومه وآلامه . وبالإضافة لهذا كان لدى الأمير غنديلبي يمكنه القضاء بطريقة تشعر معها بأن كل الأحزان العذبة تحتشد في حنجرتة .

لهذا كان على الأمير أن يتخلى عن شجرة الورد والغنديلبي .. وكان عليه أن يضعهما في علبتين فضيتين كبيرتين ويرسلهما إليها .

طلب الإمبراطور أن يجلبا إليه في القاعة الكبرى ، بينما الأميرة تلعب لعبة (الزيارة) مع سيدات البلاط .. فلما رأت العلبتين والهدايا فيهما صفتت في جذل .

قالت :

- « آه لو لم تكن هذه إلا قطة صغيرة ! »

لكن شجرة الورد بوردها الجميلة ظهرت للعيان .

صاحت كل سيدات البلاط :

- « آه !!! ما أجمل صنعها ! »

قال الإمبراطور :

- « هي أكثر من جميلة .. إنها فاتنة ! »

لكن الأميرة لمستها وبدا كأنها موشكة على البكاء .

- « يع يا بابا ! إنها غير مصنوعة على الإطلاق .. إنها

طبيعية ! »

قال الإمبراطور :

- « دعينا نر ما فى العلبة الأخرى قبل أن نتضايق .. »

من ثم خرج الغدليب وغنى بصوت رخيم حتى إن أحداً

لم يستطع فى البداية أن يقول شيئاً عنه .

هتفت السيدات :

- « سوبرب ! شارمان ! »

فهن كن معتادت الحديث بفرنسية .. وقال فارس عجوز :

- « هذا الغدليب يذكرنى بالصندوق الموسيقى الذى كان عند

إمبراطورتنا رحمها الله ، إنها نفس للنغمات ونفس الأدام ! »

قال الإمبراطور :

- « نعم .. نعم .. »

وبكى كطفل عندما تذكر زوجته ، فقالت الأميرة :

- « ما زلت أمل ألا يكون طائرًا حقيقيًا »

قال من جليوه :

- « بل هو طائر حقيقى .. »

قالت الأميرة :

- « إذن دعوه يطير .. »

ثم أبت بإصرار أن ترى الأمير .

لكنه لم يفقد حمسه .. صبغ وجهه باللونين البنى والأسود

وجذب القلنسوة على أذنيه ، ثم طرق بابها . وقال :

- « نهارك سعيد يا سيدى الإمبراطور .. هل لى أن أجد

عملاً فى قصرك ؟ »

قال الإمبراطور :

- « نعم حقاً .. أريد من يعنى بالخنازير لأن لدينا الكثير

منها .. »

وهكذا تم تعيين الأمير في وظيفة (راعى الخنازير الإمبراطورية) ، وصارت له غرفة فذرة صغيرة جوار حظيرة الخنازير . وهناك راح يمضى اليوم كله يعمل ، وعند المساء صنع وعاء طهى صغيراً جميلاً وعلق أجراساً صغيرة من حوله ، وحينما كان الإناء يطفى كانت الأجراس تدق بطريقة خلابة ، وتعزف النحن القديم :

« واعزيزتى (أوجستين) .. كل شيء ضاع . ضاع . ضاع .. »

والأغرب أن من يضع إصبعه في دخان الوعاء ، كان يشم على الفور رائحة الطعام الذى يطهى على كل موقد فى المدينة . كان هذا كما ترى يختلف تماماً عن الوردة

تصلىف الآن أن الأميرة مشيت فى هذا الطريق وحين سمعت للنحن ، وقفت متصلبة وبدأ عليها السرور . لأنها كانت تحب عزف (واعزيزتى أوجستين) .. كانت تلك هى المقطوعة الوحيدة التى تستطيع عزفها وكان هذا بإصبع واحدة .

قالت الأميرة :

« هذه مقطوعتى . لابد أن مربى الخنازير هذا حسن التربية أدخلوا وسلوه عن ثمن هذه الآلة .. »

من ثم يجب أن تدخل إحدى نساء البلاط إليه ، لكن لابد أولاً من أن تضع فى قدميها خفاً خثيباً ، وسألته :

« ماذا تريد مقابل وعاء الطهى ؟ »

قال مربى الخنازير :

« سأخذ عشر قبلات من الأميرة .. »

« آه .. حقاً .. »

« إن لتخلى عنه بثمان أقل من هذا .. »

قالت الأميرة :

« إنه لشخص وقح ! »

ثم واصلت طريقها ، لكن لما إن ابتعدت حتى رنت الأجراس بصوت عذب :

« واعزيزتى (أوجستين) .. كل شيء ضاع .. ضاع .. ضاع .. »

قالت الأميرة :

« لتطرى .. سليه إن كن يقبل عشر قبلات من سيدات البلاط .. »

قال مربى الخنازير :

« لا شكراً .. عشر قبلات من الأميرة أو أحتفظ بوعاء

الطهى .. »

قالت الأميرة :

- « هذا لن يكون . لكن هلا وقفن أمامي حتى لا يرانا أحد ؟ »

هكذا وقفت سيدات البلاط أمامها وفردن ثيابهن ، وهكذا نال المربى عشر قبلات .

كان هذا جميلاً .. لقد ظل للوعاء يظلى طيلة الليل واليوم التالي . هكذا عرفا ما يطهى على كل نار فى المدينة ، من دار حاجب الملك إلى بيت الإسكافى ، وراحت نساء البلاط يرقصن ويصلقن .

- « نحن الآن نعرف من لديه حساء ومن أعد كعكاً للعشاء .. من سيظهو (الكستيتة) ومن سيظهو بيضاً ما أمتع هذا ! »

أما مربى الخنازير - أعنى الأمير لأن أحداً لم يعرف عنه إلا أنه مربى خنزير - فلم يترك يوماً دون عمل . فى النهاية صنع (شخصيخة) حينما تهزها تسمع كل موسيقا الفالس والجيج التى سمعها الناس منذ خلق العالم .

قالت الأميرة حينما مرت بالمكان :

- « هذا رائع ! لم أسمع قط موسيقا بهذا الجمال .

لنخلن واسألنه عن ثمن هذه الأداة لكن تذكرن : لا مزيد من القبلات .. »

عادت المرأة التى دخلت لتسأل قائلة لها :

- « يريد مائة قبلة من الأميرة ! »

قالت الأميرة :

- « أحسبه ليس بكامل قواه العقلية .. »

ثم وصلت طريقها ، لكن ما أن ابتعدت حتى توقفت وقالت :

- « على امرء أن يشجع فتن .. فلما لبنة الإمبراطور .. فكن له إن بوسعه أخذ عشر قبلات منى والباقي من سيدات البلاط .. » فكن :

- « آه .. لكننا لا نحب هذا البتة .. »

سألتهن :

- « فيم تفمن ؟ لو استطعت لنا أن لقبه فهذا بوسعكن .. تذكرن أنكن مديونات لى بكل شئ .. »

لهذا اضطرت النسوة إلى الدخول .

قال المربى :

- « مائة قبلة من الأميرة وإلا فلتبقى كل واحدة قبلاها لنفسها .. »

قالت للنسوة :

- « قفن من حولنا .. »

ومن جديد تكرر ما حدث .

قال الإمبراطور :

- « ما سر هذا الزحام حول حظيرة الخنازير ؟ »

كان قد خرج من الشرفة صدفة ، وفرك عينيه ووضع عويناته .

- « إبهن نساء البلاط .. سأذهب لأرى ما هناك . »

فما إن وصل إلى الساحة مشى بسرعة ، وكادت النسوة منهنكت بعد القبلات حتى يتأكدن من أمانة الصفقة حتى بهن لم يشعرن بقدوم الملك . لقد وقف على أطراف أصابع قدميه

وحينما رأى ما يدور صاح :

- « ما هذا ؟ »

وصفع أذن الأميرة بخفه ، بينما مربى الخنازير يتلقى القبلة الصالحة والتماتين .

جن جنون الإمبراطور وصاح :

- « ابتعدا ! »

وطرد الأميرة ومربى الخنازير من المدينة

وقفت الأميرة وبكت فانهزم المطر :

- « واحسرتة ! يا لى من مخلوقة نعمة ! لو تزوجت

فقط ذلك الأمير الوسيم ! يا لتعاستى ! »

نخل مربى الخنازير وراء شجرة ، ولزال الألوان عن وجهه وتخلص من ثيابه القذرة ، ثم خرج بثيابه الأميرية ، فبدأ نسيلاً حتى إن الأميرة لم تستطع ألا تتحنى له .

قال لها :

- « جئت كى أحقر من شئتك أن تظفرى بأمير كريم .

فكنت لم تستطيعى معرفة القيمة الحقيقية للوردة ولا الغنابيب .. لكك رضيت أن تقبلى مربى خنازير من أجل ألعاب تافهة بلا قيمة .. لقد نلت جزاءك .. »

ثم عاد لمملكته الصغيرة وأوصد باب قصره فى وجهها .

الآن صار بوسعها أن تنفى :

- « واعزيتى (لوجستين) .. كل شيء ضاع ضاع ..

ضاع !! »

إلا إنها لم تفصح عما كانت تتويبه ، لكنها دخلت غرفة النوم في صمت ، ورفعت كل الأغشية عن الفراش ، ووضعت ثلاث حبات من البازلاء على الحشية ، ثم وضعت عشرين مرتبة واحدة فوق الأخرى على حبات البازلاء ، ووضعت عشرين وسادة محشوة بالريش فوق المراتب .

إن على الأميرة أن تقضى ليلتها على هذا الفراش .

في الصباح سألوها عن ليلتها ، فأجابت :

« آه ! كان نومًا سيئًا حقًا .. لم أكد أغلق عيني طيلة الليل . لا أعرف ما يوجد تحتى لكنى شعرت بشيء صلب .. لقد امتلأ جسدى بالأرق والأسود . لقد آذاني هذا كثيرًا ! »

الآن صار واضحًا أن الفتاة أميرة حقيقية . لأنها شعرت بلحبات الثلاث عبر العشرين مرتبة والعشرين وسادة . لا يمكن إلا للأميرة حقيقية أن تملك هذا الحس المرفف بالألم .

نتيجة لهذا تزوجها الأمير ، وقد اتفق بأنها أميرة حقيقية . وتم وضع ثلاث حبات البازلاء في خزانة الخرائب حيث ما زال بوسعك أن تراها ما لم تكن قد ضاعت .

ألم تكن هذه الفتاة رقيقة بحق وحقيق ؟

الأميرة الحقيقية

كان هناك أمير تمنى أن يتزوج أميرة . لكن كان عليها أن تكون أميرة حقيقية . مسافر عبر العالم يبحث عن تلك السيدة ، لكن في كل مرة كان يجد شيئًا على غير ما يرام . لقد قابل أميرات كثيرات لكنه لم يستطع قط أن يحدد ما إذا كن حقيقيات . في كل مرة يجد شيئًا خطأ هنا أو هناك بصددهن ، وفي النهاية عاد لقصره محبطًا لأنه كان يتمنى فعلاً أن يقابل أميرة حقيقية لتكون زوجته .

ذات ليلة هبت عاصفة مخيفة ، ودوى الرعد مع البرق واتهمر المطر من السماء كالطوفان . بالإضافة لهذا كان الظلام دامسًا . فجأة دوت طرقات عنيفة على الباب ، فاتجه أبو الأمير نفسه - الملك العجوز - ليفتح الباب .

كانت تلك أميرة تقف على الباب . كانت في حالة موسية وسط الأمطار والرياح والماء يتساقط من شعرها ، وقد التصقت ثيابها بجسدها . وقالت إنها أميرة حقيقية .

فكرت الملكة العجوز :

« حسن .. سنرى هذا حالًا ! »

وقد حسبت (كارين) أن هذا حدث بسبب الحذاء الأحمر ، لكن السيدة العجوز رأت أنه بشع . إلا أن (كارين) نفسها كانت نظيفة حسنة الهمام ، وكان عليها أن تتعلم القراءة والتطريز ، وقال الناس إنها شيء صغير لطيف لكن المرأة قالت لها :

« أنت لست لطيفة فحسب . أنت جميلة ! »

الآن كانت المئكة مسافرة على الطريق ، وكانت ابنتها الصغيرة معها . وكانت هذه الابنة أميرة .. أتدفع الناس نحو القلعة وكانت (كارين) هناك إذ وقفت الأميرة في ثوب أبيض جميل في النافذة ، وحملت الكل يرونها . لم تكن تلبس عباءة طويلة ولا تاجاً .. لكنها كانت تتنعل حذاءين مغربيين رائعين . كانا بالتأكيد أروع بمراحل من هذين اللذين صنعتهما الإسكافية لـ (كارين) . لا شيء في العالم يمكن مقارنته بهما .

لقد صارت (كارين) الآن في سن مناسبة للعماد . لديها ثياب جديدة وسوف تظفر بحذاء جديد . لقد أخذت الإسكافية الثرية في المدينة قياس قدميها الصغيرتين . تم هذا في منزلها وفي غرفتها حيث توجد صناديق زجاجية كبيرة فيها أحذية أنيقة . كل هذا كان رائعاً لكن السيدة العجوز لم تكن ترى جيداً لهذا لم تهتم بهذه الأشياء .

كانت هناك فتاة صغيرة جميلة رفيقة ، لكنها كانت مريضة على أن تجرى حافية القدمين في الصيف ، فقد كانت فقيرة للغاية . وفي الشتاء كانت تلبس حذاءين خشبيين كبيرين مما كان يجعل مشطى قدميها أحمرين . وكان هذا خطراً بحق .

في وسط القرية كانت تعيش السيدة الإسكافية العجوز . كانت تجلس وتخيظ - على قدر وسعها - زوجاً من الأحذية من قطعتي قماش أحمر قديم ، وكان منظرهما يفتقر للمهارة ، لكنها كانت فكرة كريمة . كانت تصنعهما للفتاة الصغيرة . وكان اسم الفتاة الصغيرة (كارين) .

يوم أن دفنت أمها تلقت الفتاة الحذاء الأحمر ، فارتدته لأول مرة . لم يكن مناسباً للحذاء لكن لم يكن لديها سواه ، وقد مشت خلف النعش وقدماهما بلا جوربين .

فجأة ظهرت عربة كبيرة قديمة تجلس بها سيدة ضخمة ، ونظرت إلى الفتاة وشعرت بالشفقة عليها ، فقالت للنفس :

« هات لي هذه الفتاة الصغيرة . أنا سوف أتناها ! »

وسط الأحذية كان حذاء أحمر كالذي كانت الأميرة تلبسه .
يا لجماله ! قالت الإسكافية إنه كن مخصصاً لابنة كونت لكن
القياس لم يكن صحيحاً .

قالت السيدة العجوز :

« لابد أن هذا جلد أصلي .. هذا البريق يدل على ذلك ! »

قالت (كارين) :

« نعم .. يلمع ! »

وكان القياس صحيحاً وتم شراء الحذاء لكن للعجوز
لم تعرف شيئاً عن لونه الأحمر ، وإلا ما كانت تسمح
لـ (كارين) بالذهاب بحذاء أحمر إلى القصر . لكن هذا ما حدث .
راح الناس جميعاً ينظرون إلى قدميها . وحينما دخلت من
باب المذبح إلى الكنيسة بدا لها كأن تلك الأشكال القديمة
على القبور ، وصور الوعاظ القدامى وزوجاتهم ذوات
المعاطف الطويلة السود ، ينظرون لقدميها في ثبات .

وضع القس يده على رأسها وتكلم عن العصاد المقدس
وميثاق الرب ، وأصدر الأرغن نغمة حزينة رقيقة . هنا غنى
الأطفال بصوتهم العذب ، وغنى المنشدون كبار السن ، لكن
(كارين) كانت تفكر فقط في حذاتها الأحمر .

بعد الظهيرة سمعت السيدة العجوز من الجميع أن الحذاء
كان أحمر ، فقالت إن هذا خطأ كبير من (كارين) ، وإن
هذا ما كان ليناسبها وعليها في المستقبل ألا تلبس في
الكنيسة إلا حذاء أسوداً ..

يوم الأحد التالي كانت هناك مراسم تناول في الكنيسة ،
وظهرت (كارين) للحذاء الأسود ثم الأحمر .. وفي النهاية
انتعلت الحذاء الأحمر .

راحت الشمس تتألق في جلال بينما (كارين) والسيدة
للعجوز يمشيان في الممر وسط حقل القمح .. كان الفبار
كثيراً هناك .

وعلى باب الكنيسة وقف جندي عجوز يمسك بعكاز ،
وله لحية طويلة رائعة لونها أحمر أكثر منه أبيض .
واتحنى سائلاً السيدة العجوز إن كانت تسمح له بتنظيف
حذائيه . فمدت (كارين) قدمها الصغيرة

قال الجندي :

« انظري ما أجمل حذاء الرقص هذا ! إنه ثابت في
قدميك حينما ترقصين ! »

ووضع يده على أسفل حذاتها .

أعطته السيدة العجوز حسنة ودخلت الكنيسة مع (كارين) .

راح كل الناس في الكنيسة ينظرون إلى حذاءى (كارين)
الأحمرين ، وإذا وقفت أمام المحراب لترفع الكأس إلى شفيتها
كان عقلها منشغلاً بحذاءها الأحمر . نسيت أن تشد تراقيعها
ونسيت أن تصلى .

خرج الجميع من الكنيسة وركبت العجوز عربتها ،
ورفعت (كارين) قدمها لتركب بعدها حينما قال الجندي
- « انظري ما أجمل حذاءى الرقص هذين » -

فلم تستطع (كارين) المقاومة . وجدت نفسها ترقص
كان الحذاء له سيطرة على قدميها . رقصت حول ركن
الكنيسة ، ولم تستطع الانصراف حتى اضطر الحوذى إلى أن
يركض ويمسك بها ، ووضعها في العربة . لكن قدميها ظننا
ترقصان . في النهاية خلعت الحذاء فعاد لقدميها السلام

وضع الحذاءان في خزانة في البيت ، لكن (كارين) لم
تستطع إبعاد عينيها عنهما .

مرضت السيدة العجوز ، وقيل إنها لن تشفى . كان لابد
أن يتم تمريضها ورعايتها ، وكانت (كارين) خير من
يصلح لهذا . لكن أقيم حفل راقص كبير في المدينة دعيت له

(كارين) . نظرت إلى العجوز التي لن تشفى ونظرت إلى
الحذاء الأحمر . قررت أن الأمر لن يكون خطيئة . هكذا
اتسللت الحذاء الأحمر وذهبت إلى الحفل .

لكن كلما أرادت أن ترقص إلى اليمين كان الحذاء يرقص إلى
اليسار ، وحينما تتجه لليسار يتجه الحذاء لليمين ، فإذا أرادت أن
تجتاز ففاعة مشى الحذاء للحلف ، إلى الشارع ، وخارج بوابة
المدينة . وهكذا اضطرت أن ترقص في الغابة الكئيبة .

وفجأة أضيئت الأشجار .. وخطر لها أن هذا القمر
بالتأكيد لكن كان هذا الجندي العجوز بلحيته الحمراء .
لقد وقف هنالك وهز رأسه وقال :

- « انظري .. ما أجمله من حذاء راقص ! »

أصدها الرعب وأرادت أن تطوح بالحذاء الأحمر ، لكنه تمسك
بقدميها وراقصت . يجب أن ترقص .. وسط الحقول وفي
المروج . تحت قمر وفي ضوء الشمس .. في الليل والنهار .
وكن أكثر فزعا أنها رقصت في بحنة الكنيسة ليلاً لكن الموتى
لم يشاركوها الرقص . كان لديهم ما هو أفضل ليفعلوه

تمنت لو جلست ، لتستريح على قبر فقير حيث تنمو أعشاب
(حشيشة الشتاء) لكنها لم تنل الراحة ولا السلام . وحينما
كنت من باب الكنيسة رأيت ملكاً يقف هناك . كان يلبس عاءة

قال للجلاد :

- « افترض أنك لا تعرفين من أنا ؟ أنا أطيع برءوس
الأسقياء بفأسى »

قالت (كارين) :

- « لا تقطع رأسى هكذا لن أستطيع التوبة عن خطيائى !
لكن اقطع قدمى فى الحذاء الأحمر ! »

واعترفت له بخطاياها ، فقطع الجلاد ساقها بالحذاءين
الأحمرين ، لكن الساقين راحتا ترقصان بالحذاءين متجهتين
نحو أعماق الغابة .

نحت للفتاة ساقين خشبيتين وعكازين ، وعلمها التراتيم
التي يشدها المجرمون فقبلت يده التي تحمل الفأس وتجهت
نحو المرج .

قالت :

- « لقد عانيت الكثير بسبب هذا الحذاء الأحمر . الآن
سأذهب إلى الكنيسة حيث يراى الناس .. »

وأسرعت نحو باب الكنيسة ، لكن حينما اقتربت راح
الحذاء الأحمر يرقص أمامها فأصابها الهلع وعادت .

ظنت نعمة طينة الأسبوع وبكت دموعاً مريرة . لكن
حينما جاء الأحد من جديد قالت :

طويلة بيضاء وله جناحان يمتدان من كتفيه إلى الأرض .
كان وجهه صارماً جاداً ، وفى يده سيف عريض براق .

- « سوف ترقصين » - كذا قال لها - « فى حذاءك
الأحمر حتى يصيرك الشحوب والبرد ! حتى يتغصن جلدك
وتصيرى هيكلًا عظميًا ! سوف ترقصين من باب لباب وحيث
يعيش الأطفال المفلوجون التافهون تطرفين الأبواب ،
فيسمعونك ويرتجفون ! سوف ترقصين ! »

صرخت (كارين) :

- « الرحمة ! »

لكنها لم تسمع رد الملاك ، لأن الحذاء حملها إلى الحقول ،
وعبر الطرق والجسور ، وطيلة الوقت كان عليها أن ترقص .

ذات صباح رقصت أمام باب تعرفه جيداً من الدخول سمعت
ترنيمة ، وخرج تابوت مزين بالزهور . عندها عرفت أن العجوز
قد ماتت وشعرت بأنها منبوذة تملأ لكنها ظنت ترقص طيلة
الليل الكئيب حملها الحذاء فوق الصخور فتمزق جلدها ونزفت .
رقصت عبر المرج حتى بلغت بيتاً صغيراً هنا كان يعيش الجلاد
كما تعرف ، وقد فرغت بأصابعها على النافذة ، وصاحت :

- « اخرج ! فانا لا أستطيع الدخول .. أنا مرغمة على
الرقص .. »

- « حسن الآن قد عانيت وقاومت كثيراً .. أؤمن أنني طيبة كأي واحدة أخرى تجلس في الكنيسة ، وترفع رأسها عالياً ! »

اتجهت بشجاعة ، لكنها لم تكذب تقرب من باب الكنيسة حتى رأت الحذاء يرقص أمامها ، فأصابها الهلع وعادت ، وندمت على ذنوبها من قلبها .

ذهبت إلى بيت الكهن وطئبت أن يقبلوها خادمة . وقالت إنها ستكون مفيدة جداً ، وسوف تقوم بأي عمل بوسعها . لم تهتم بالراتب فقط أرادت مأوى وأن تكون مع أناس طيبين . رقت لها زوجة الكاهن فأخذتها للخدمة فكانت نشيطة ذكية . وكانت تجلس ساكنة تصفى كلما قرأ الكاهن الكتاب المقدس مساءً ، وأحسها كل الأطفال

يوم الأحد التالي عندما استعدت الأسرة للذهاب إلى الكنيسة . سألوها إن كانت ترغب في الذهاب معهم . لكنها نظرت لعكازيها في حمرة والدموع في عينيها . دخلت غرفتها التي لم تتسع قط إلا لفراش ومقعد . جلست ممسكة بكتاب الصلوات وراحت تقرأ بعقل تقى . حملت الريح أنغام الأرغن لها فرفعت رأسها باكية وقالت :

- « آه يا رب .. ساعدنى .. »

أشرقت الشمس وأمامها وقف الملك بثيابه البيض . ذلك الذى رآته ليلاً على باب الكنيسة . لكنه لم يحمل السيف بل حمل غصناً أخضر جميلاً ازدان بالأزهار . مس السقف بالفصن فارتفع . وتألق نجم ذهبى فى الموضع الذى لمس فيه الجدار . مس الجدران فالتفت ورأت الأرغن الذى كان يعزف وصور الوعاظ وزوجاتهم . لقد جلس الحشد فى مقاعد مبطنه وأنشد الجميع من كتب صلواتهم . لقد جاءت الكنيسة نفسها للفتاة البائسة فى غرفتها الضيقة ، لو ذهبت هى إلى الكنيسة . جلست مع أسرة الكاهن وحينما انتهت التراتيم ورفعوا رءوسهم أومنوا لها وقالوا :

- « أوصنت إذ جئت .. »

قالت :

- « بل هى رحمة من الله ! »

وبوت نغمت الأرغن ، وتعالى صوت الأطفال عذباً ناعماً ودخل ضوء الشمس من النافذة دافئ إلى حيث جلست . امتلأ قلبها بنور الشمس والسلام والحبور حتى إنه تحطم . طارت روحها تلحق بالضياء وهناك لم يسألها أحد عن الحذاء الأحمر .

بائعة الثقاب الصغيرة

٤١

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية

بارداً بشكل شنيع كن الحو .. لقد تساقط الجليد .. وكان الظلام شبه دامس .. والنيلة آخر ليلة في العام . وفى وسط هذا البرد والظلام مضت فى الشارع فتاة صغيرة فقيرة ، عارية الرأس حافية القدمين . كانت تلبس خفين عندما غابت منزلها . هذا حق . لكن ما فلتنتهما ؟ كتاك كبيرين جداً لأنهما كانا يخصصان أمها . كتاك كبيرين جداً وقد فقدتاهما المخلوقة للتصمة وهى تمشى عبر الشارع بسبب عربتين مسرعتين .

لم تجد الحف الأول أما الآخر فقد تلقفه متسكع وجرى به فكر أنه سيصلح لهذا لطفل لو رزق بواحد يوماً ما . لذا مشيت الفتاة الصغيرة بقدميها العاريتين اللتين احمرتا ولزقتا من البرد . كانت تحمل بعض الثقاب فى مربولة قديمة ، وتحمل حزمة منها فى يدها . لم يشتتر أحد شيئاً طيلة اليوم . ولم يعطها أحد ربع بنس واحداً .

انحنى على نفسها ترتجف برذاً وجوعاً صورة مجسمة للأسف .. يا للمسكينة الصغيرة !

غطت رقلى الحديد شعري الأشقر الذى كان ينحدر فى تجاعيد جميلة حول عنقها . لكنها لم تفكر فى هذا الآن . من التوافق كنت لشموع تضيء وثمة رائحة نديّة تكرك بالإوز المشوى . لأن هذا كان رأس السنة .. نعم .. فكرت فى هذا .

وفى ركن بين منزلين يبرز أحدهما للأمام أكثر ، جلست وانكعشت على نفسها . ضمت قدميها الصغيرتين عليها ، لكنها ازدادت برداً . ولم تجسر على العودة للبيت ، لأنها لم تبع أى ثقاب ولم تحصل على ربع بنس . سوف يضربها أبوها والحو فى البيت بارداً كذلك ؛ لأنه ما من شيء سوى السقف فوقها .. السقف الذى تصفر الريح عبره ، برغم أنهم سدوا الشقوق الواسعة بالقش .

كانت يداها الصغيرتان قد فطنتا الإحساس من البرد ربما يقرر لهن ثقاب على إعطائها بعض الراحة ، فقط لو تجلسرت على أن تأخذ واحداً من الحزمة وتحكه فى الحائط وتدفى أناملها به .. صحبت واحداً ..

(ريشة ') يا لثمتة ' ويا لروعة احتراقه ' كن لهن لاميناً دافئاً كالثمتة ، وهى تضع يدها عليه وللحظة خيل إليها أنها تجلس أمام موقد كبير حديدى مزدان بالنحاس البراق . لقد انتهت النار معطية تأثيراً سحرياً . ومدت الفتاة قدميها لتدفئهما كذلك ، لكن النهب انطفأ . وتلاشى الموقد . لم يبق إلا بقايا الثقاب فى يدها .

حكى عوداً آخر فى الجدار فتهب متوهجاً وبأ سقط نوره على الجدار بدا للحدار شفافاً كتخمار . حتى أمكنها أن ترى ما بداخل الغرفة ، وعلى المصعدة كن شرسف أبيض كتشج ،

عليه طلق مائدة من الخزف ، والإوزة المشوية يتصاعد منها البخار ، وهي محشوة بالتفاح والبرقوق المجفف . لما الأهم فهو أن الإوزة وثبت من الطبق ، وركضت على الأرض بشوكة وسكين في صدرها ، حتى وصلت إلى الفتاة البائسة هنا انطفأ النّقاب ، ولم يعد سوى الجدار الرطب السميك .. أشعلت عوداً آخر . الآن هي واقفة تحت أجمل شجرة كريسماس كانت أكبر وأحمل من أية شجرة رأتها من قبل في واجهة محل التاجر .

آلاف الأضواء تلتصع على الفصون الخضراء ، مع صور مبهرة الألوان كالتي كانت تراها في نوافذ المتجر تنظر لها . مدت الفتاة يديها نحوها حينما انطفأ العود .

هنا ارتفعت أضواء شجرة عيد الميلاد لأعلى وأعلى . ورأتها كالجود في السماء . سقط أحدها راسماً أثراً من النار .

قالت الفتاة الصغيرة :

« أحدهم قد مات .. »

لأن جدتها - الشخص الوحيد الذي أحبته - والتي ماتت منذ زمن قالت لها إن روحاً تصعد إلى بارنها إذا هوى نجم .

حكمت عوداً آخر بالجدار ، ومن جديد رأت الضوء .. وهناك كانت تقف جدتها . متأقّة لأمعة .. وعلى وجهها تعبير حب فاتق ..

صاحبة الصغيرة :

« جدتي ! خنيني معك ! أنت ترحلين كلما انطفأ العود .. تخفين كنفن الدافئ .. كالإوزة المشوية الشهية كشجرة عيد الميلاد للفتاة .. »

وحكّت حزمة الأعواد بسرعة على الجدار ، لأنها أرادت أن تستبقى جنبها معها . توجهت الأعواد ببريق مبهر أكثر سطوعاً من الظهيرة ، فلم تر جدتها من قبل أكثر بهاء ولا طولاً احتضنت الجدة الصغيرة وحفقتا سعيدتين لأعلى . لأعلى .. فوق البرد والجوع والخوف .. لقد لحقتا بخالقهما .

لكن في ساعة الفجر الباردة ، وفي الركن . جلست الفتاة قبائسة بخدين متوربتين وفم بسم منحنية على الجدار ، وقد ماتت متحدة في آخر ليلة من العلم المنصرم . متصلة متخشبّة جلست الطفلة هناك بأعواد ثقاسها ، التي احترقت حزمة منها .

وقال الناس :

« أرادت أن تكفى نفسها .. »

ولم يشك أحد في الأشياء الجميلة التي رأتها .. ولم يحلم أحد بالروعة التي لحقت بها - مع جدتها - مبهج عام جديد .

الصبي الشقي

منذ زمن بعيد عاش شاعر عجوز . شاعر عجوز طيب القلب كان يجلس ذات ليلة في غرفته ، حينما هبت عاصفة مريضة بالحارج ، وتساقط المطر من السماء لكنه جلس شاعراً بالدهء والراحة في ركن المدفأة حيث تنوهج النار ويصدر التفاح هسيساً أثناء شيه .

قال الشاعر المسن الطيب :

« هؤلاء الذين لا سقف فوق رؤوسهم سوف يبتلون حتى الجلود .. »

فجأة صاح طفل وقف يبكي على الباب :

« آه دعني أدخل ! أنا بردن . أنا مبتل ! »

فأنها وهو يقرع الباب طائلاً الدخول . بينما المطر ينهمر والريح تجعل النوافذ تتخبط .

« يا للصغير البائس ! »

قالها الشاعر وهرع يفتح الباب . هناك وقف صبي صغير عار تمام وقد انشال الماء من شعره الذهبي الطويل ، وكان يرجف برداً ولو لم يدخل الغرفة الدافئة حالا فلنصفى يهتك في العاصفة المخيفة .

« يا للصغير البائس ! »

قالها الشاعر العجوز وهو يأخذ الصبي من يده ، وقال له :

« تعال .. تعال . سوف أعيدك للحياة حالاً ! سوف أعطيك الشراب والتفاح المشوى فأنت طفل ساحر بحق .. »

وكان الصبي كذلك فعلاً .. عيناه كانت كنجمين لامعين ، وكان شعره يتوى في موجات حميلة برغم بلله ، فبدأ بالضبط كملك برغم شحوبه الشديد وقد راح جسده يرتجف . كن هناك قوس صغير لطيف في يده ، لكن المطر أطفاه .

أجلس الشاعر نفسه بجوار مدفأته ووضع الصغير على حجره ، واعتصر الماء من شعره ودعا يديه في يديه . وأعد له شراباً دافئاً .. ثم ألقى الصبي وتورد خداه .. ونهض ليرقص حول الشاعر العجوز .

قال الشاعر :

« أنت شاب لطيف .. ما اسمك ؟ »

أجاب الصبي :

« اسمي (كيوييد) * . ألا تعرفني ؟ هذا قوسي حسن التصويب . فؤادك هذا . أنظر ! الجو يصفو والقمر يلتمع صافياً عبر النوافذ .. »

(*) في الأساطير اليونانية أن « كيوييد » - هو إله الحب - إن رمى القلب بسهم ذهبي وقع في الحب وإذا رمى بسهم رصاصي كره أول من يراه

قال الشاعر :

« لكن قوسك قد تلف فعلاً .. »

قال الصبي :

« كان هذا محزنًا .. »

وتناول القوس بين يديه وتفحصه - « أوه . لقد جف ثابته . ولم يتصرر . الوتر مشدود تماما . سأجربه .. »

ثم شى رأسه وصوب وأطلق سهمًا على الشاعر العجوز فى قلبه . وضحك وقال :

« ترى أن القوس لم يتلف .. »

ثم جرى بعيدًا ..

يا للفتى الشقى ! إذ يطلق السهم على الشاعر العجوز الذى استضافه فى غرفته الدافئة . والذى عامله برقة والذى أعطاه شرابًا دافئًا وتفاخًا شهيا ..

رقد الشاعر على الأرض ويكى : لأن السهم اخترق قلبه

حقًا ..

قال :

« أف ! ما أشقى (كيوبيد) هذا ! سأحكى لكل الأطفال عنه حتى لا يلعبوا معه أبدًا .. لأنه لن يجلب لهم إلا الأسى وألم القلب .. »

أخذ كل الأطفال الذين سمعوا القصة حذرهم من (كيوبيد) ، لكنه سخر منهم لأنه كان مكرًا . حينما يعود طلبة الجامعة من المحاضرات يحرق جوارهم فى معطف أسود وكتاب تحت إبطه من المستحيل عليهم أن يعرفوه . ثم فجأة بصوب سهمًا لصدورهم ، وحينما تعود الفتيات من الدرس يكون خلفهن . إنه يتبع للناس دومًا وفى المسرح يجلس فى الشمعدان الكبير ويحترق بالنهب من ثم يحسبه الناس لهيأ . ثم سرعان ما يكتشفون أنه شيء آخر . إنه يمرح فى حدائق القصر وخلف الأسوار العالية . نعم . لقد أصاب أباك وأمك ذات مرة فى القلب مباشرة . سلهم فقط وسوف يخبرائك .

إنه صسى شقى . هذا الكيوبيد لا شيء بوسعك أن تعلمه .. إنه يركض خلف الجميع أبدًا . فقط فكر فى أنه صوب سهمه ذات مرة إلى قلب جنتك ! كل هذا منذ زمن محيق . لكنها لن تنسى هذا أبدًا .. أف ! (كيوبيد) الشقى ! لكنك الآن تعرفه وتعرف كذلك كم هو مسمى السلوك !

الياقة المستعارة

ذات مرة كان هناك سيد مهذب لا يمكن إلا مشط شعر
(لبيسة) للأحذية ذات الرقبة ، لكن كانت لديه أفضل
ياقات مستعارة في العالم ، وعن واحدة من تلك الياقات
سنسمع قصتنا الآن .

كان الطقس بارداً حتى إن الياقة بدأت تفكر في الزواج .
وتصافى أن تم غسلها مع ربطة ساق .

قالت الياقة :

- « كلا . لم أر شيئاً بهذه الرقبة من قبل . ناعمة
وأنيقة .. هل لي أن أعرف اسمك ؟ »

قالت ربطة الساق :

- « هذا لن أقوله .. »

سألت الياقة :

- « أين تعيش ؟ »

لكن ربطة الساق كانت خجولاً متواضعة ، ورأت أن هذا
سؤال غريب .

قالت الياقة :

- « أنت مشد بالتأكيد .. أي أنك مشد داخلي .. أرى أنك
تصلحين للاستعمال والزينة يا عزيزتي . »

قالت ربطة الساق :

- « سأشكرك لو كففت عن الكلام معي فأنا لا أرى
مناسبة لذلك .. »

قالت الياقة :

- « نعم عندما يكون شخص جميل مثلك .. هذه مناسبة
كافية .. »

قالت ربطة الساق :

- « لا تدن مني أتوسل لك .. أنت تبدو مثل هؤلاء
الرجال .. »

- « أنا أيضاً رجل مهذب راقٍ .. عندي لبيسة أحذية
ومشط .. »

لكن هذا لم يكن حقيقياً ، لأنها كانت أشياء تخص سيده ،
لكنه كان يبالغ .

قالت ربطة الساق :

- « لا تكن منى .. أنا لم أعتمد هذا .. »

- « يا لك من محتشمة .. »

قالت لها الياقة ، ثم حملوها إلى حوض الغسيل . تمت تنشيتها
وعلفت على ظهر مقعد في الشمس ، ثم تم وضعها على بطانية
الكي وجاءت المكواة الحديدية . صاحبت الياقة .

- « سيدتي العزيزة ' سيدتي الأرملة العزيزة ! أشعر
بالحر ' أنا أتغير . أشعر بأنني أنثى .. سوف تحدثين
حرقاً في ! »

قالت المكواة :

- « خرقه ! »

ومشت فوق الياقة في فخر لأنها تصورت نفسها
قاطرة تمشي على الخط الحديدى وتجر العربات .

كانت الياقة منبعجة عند حافتها ، لذا جاء مقص عملاق
ليقطع جزءاً منها فقالت الياقة : « أوه ' أنت تصلح لتكون
خير راقص في الأوبرا ما أبرعك في فرد مسائك .. هذا
أفضل أداء رأيته .. لا أحد يمكنه تقليدك .. »

قال المقص :

- « أعرف هذا .. »

- « تستحق أن تكون باروناً كل ما لدى هو سيد مهذب
ولبيسة ومشط .. لو كنت باروناً كذلك ! »

هنا قطعها المقص لأنه كان متضايقاً ..

قالت الياقة :

- « يجب أن أسأل المشط . من المدهش قدرتك على
الحفاظ على أسننتك يا انسة .. ألم تفكرى فى الخطبة قط ؟ »

قال المشط :

- « طبعاً . متى فى هذا .. ف مخطوبة للبيسة الأحنية ! »

هتفت الياقة :

- « مخطوبة ! »

هكذا لم يعد هناك من يظلب يدها . لذا شعر بالضيق .

مر وقت طويل ثم ذهبت الياقة لصندوق الخرق فى مصنع
الورق . هناك كانت حرق كثيرة وقد وضعت الخرق الحسنة مغا
والدعة مغا صمت الجميع لكن الياقة استمرت فى لمباهاة .

شجرة الشربين

قالت الياقة :

ومط الأحرار وفتت شجرة شربين لطيفة جميلة ، كان موضعها جميلاً حقاً تسطع الشمس عليه ، مع ما يكفى من هواء عليل .. وحولها كانت رفيفات أكبر حجماً .. أشجار شربين وصنوبر ، لكنها تمتت كثيراً لو تصير شجرة بالغة

لم تهتم بالشمس الساطعة ، ولم تهتم بأطفال الأكواخ إذ يحرون حولها ، ويثرثرون وهم فى الغابة يجمعون الثوت البرى كان الأطفال يأتون حاملين إبريقاً مليئاً بالثوت ، ويجلسون حول الشجرة ويقولون :

« ما أجملها ! يا لها من شجرة شربين صغيرة ! »

لكن كان هذا بالذات ما لا تطيق الشجرة سماعه !

بعد عم تمت قراً لا بأس به . وبعد علم آخر صارت أطول .. إن أشجار الشربين يمكن معرفة عمرها من أغصانها .

تنهدت وقالت :

« اه لو كنت شجرة كبيرة كالأخريات ! عندها كنت أقرد غصونى لأرى العالم للواسع ! ولكنت للطيور تبني أعشاشها بين غصونى ، وحين يهب التسيم أفتى فى فخامة كالأخريات ! »

« لدى عدد هائل من الحبيبات .. لا يمكن أن أعيش فى سلام .. صحيح أننى كنت يوماً سيداً مهنياً .. كان عليكم أن ترونى وعقها . لن أنسى أبداً حبى الأول . كنت مشدداً رقيقاً . ناعماً . لقد ألفت بنفسها فى حوض ماء من أجلى ! كانت هناك أرملة توهجت من حرارة العاطفة لكنى تركتها حتى اسود لونها ثانية ، وكانت هناك راقصة أوبرا حادة الطباع ! لقد أحببى مشط شعر .. وقد فقد أسنانه من عذاب الفؤاد .. نعم . رأيت هذه الأشياء فى حياتى .. لكننى حزين من أحل ربطة الساق .. أعنى المشد الذى ألقى بنفسه فى الماء من أجلى .. هذا عبء على ضميرى . أريد أن أصير ورقاً أبيض .. »

وهكذا صار . تحولت كل الخرق إلى ورق أبيض لكن الياقة صارت هذا الورق الأبيض الحميل الذى تراه هنا ، والذى طبعت عليه هذه القصة ، لأنها تباهت كثيراً علينا أن نتعلم ألا نتصرف بهذه الطريقة ، فلربما انتهى بنا الأمر إلى صندوق الخرق وتصير ورقاً أبيض ، ثم تطبع قصة حياتنا عليها بأدق أسرارها . مثلاً حدث لهذه الياقة .

لم تمنحها الشمس ولا الطيور ولا السحب الحمر التي حركها الصباح والليل فوقها .. لم يمنحها هذا أية سعادة .

في الشتاء عندما يكسو الجليد الأرض يأتي أرنب واثبا ، ويثب فوق الشجرة ، آه ! هذا كان يضايقها بشدة . لكن مر شتاءان ، وفي الثالث كبرت الشجرة بحيث اضطر الأرنب للدوران من حولها .

فكرت الشجرة :

- « أنا أكبر وأكبر .. وأشيخ وأستطيل .. هذا هو أجمل شيء في العالم .. »

في الخريف جاء الخطابون وقطعوا بعضاً من الأشجار الكبيرة ، وكان هذا يحدث كل عام . وكانت لشجرة صغيرة ترتجف كلما رأت هذا المنظر ، لأن الأشجار الصاعدة الرفعة كانت تهوى أرضاً محدثة سخناً وقبعة ، ثم تقطع الأغصان فتبدو الأشجار عارية طويلة يصعب تعرفها . ثم تجرها الخيول من الغابة .

إلى أين تذهبن ؟ إلام ستصرن ؟

وفي الخريف حينما تأتي طيور السنونو وطيور النلق
تسألهم الشجرة :

- « ألا تعرفون أين أخذن ؟ ألم تلقوهن ؟ »

لكن السنونو لم يكن يعرف شيئاً عن هذا ، أما النلق فقد هز رأسه مفكراً وقال :

- « حسن .. أعتقد أنني أعرف كنت أظير عائداً من مصر ورأيت سفناً عديدة ، وعليها صوار عظيمة .. وأعتقد أنه كانت لها راحة الشربين .. لى أن أهلك فإن هذه الأشجار ارتفعت في السماء بروعة حقيقية ! »

- « آه .. لو كنت كبيرة بما يكفي لأخلق عبر البحر ! لكن كيف يبدو قبحر في الحقيقة ؟ »

قال النلق :

- « إن شرح هذا يستغرق وقتاً كبيراً .. »

ومع هذه الكلمات خلق بعيداً .

قالت أشعة الشمس :

- « فلتبتهجى بنموك . فلتبتهجى بنموك الحثيث .. والحياة

للطرفة التي تتحرك فيك ! »

ونثمت الريح للشجرة ، وثرى الندى دموعه عليها ، لكن شجرة الشربين لم تفهم هذا .

صاحبة الشجرة فى بهجة :

- « ليتنى أحظى بهذا الاختيار إنه أجمل من عبور البحر يا نعايى ! لنا الآن طويلة وغصونى تنتشر كالأخريات اللتى أخذن العم الماضى .. ليت العربة تحملنى .. ليتنى أجد نفسى فى تلك الغرفة الدافئة ذات النهاء ! وعندها سيحدث شيء لروع . شيء أجمل من هذا كله وإلا فلماذا زينونى ؟ لكم أتعذب ! ماذا دهانى ؟ أنا لم أعد أعرف نفسى ! »

قال الهواء وأشعة الشمس :

- « ابتهجي بوحدونا ! ابتهجي بشبابك الغض ! »

لكن الشجرة لم تبتهج .. لقد نمت ونمت .. وصارت خضراء طيبة الشتاء والصيف . وقال من راوها :

- « ما أجملها شجرة ! »

وفى الكريسماس كتبت من أوائل الشجرات اللتى قطعت . لقد احترق الفأس لحاءها عميقاً .. فسقطت على الأرض مستهدة . شعرت كأنما هى قد فقدت الوعي .. لم تستطع التفكير فى السعادة ، لأنها حزنت لفراق موطنها . عرفت أنها لن ترى زميلاتها العزيزات ولا الفصون والأزهار حولها .. ولا حتى الطيور ! لم يكن الرحيل محبباً على الإطلاق .

عندما جاء الكريسماس قطعت أشجار صغيرة كثيرة ، وهى شجيرات كانت فى حجم أو عمر شجرة الشربين هذه كانت هذه الأشجار الأجمل وقد حوفظ على أغصانها ووضعت على عربات وسحبته الخيول خارج الغابة

سألت الشجرة :

- « إلى أين هى ذاهبة ؟ هذه الأشجار ليست أطول منى .. بل هناك واحدة أقصر .. ولماذا يحتفظون بغصونهن ؟ إلى أين ؟ »

شقيقت العصافير :

- « نحن نعلم . نحن نعلم ! قد اختلسنا النظر عبر النوافذ ! نحن نعرف لأين ذهبن .. إلى أعظم مجد ولروع بهاء ينتظرهن ! قد اختلسنا النظر عبر النوافذ ، ورأينا هن مزروعت فى وسط غرفة دافئة وقد تزيّن باروع الأشياء . تدح مذهب وكعك الزنجبيل والألعاب ومئات الأضواء ! »

- « وبعدها ؟ »

كذا سألت الشجرة وهى ترتجف .

- « لم نر أكثر من هذا . كلنا جميلة بدرجة لا تقارن ! »

استعادت وعيها حينما تم إزالتها في فناء مع الأخريات ،
وسمعت رجلاً يقول :

« هذه رائعة ! لا حاجة بنا للأخريات .. »

وجاء خالمان في طيلسان فخيم وحملها إلى مرسوم واسع .
كانت هناك صور على الجدران وقرب الموقد الخزفي كانت
مزهريتان رسمت عليهما أسود . كان هناك شيزلونج كبير
ولريكة مكسوة بالحرير ومنضد عليها كتب صور وألعاب ..

وتم تثبيت الشجرة في أصيص ملئ بالرمال .. لكن لم
يخمن أحد أنه أصيص ؛ لأنه كان مزركشاً بقماش أحضر .
ماذا سيحدث ؟

إن الخادمين وسيدات يزخرفونها ، وعلى غصونها ثبتوا
شبكة ملينة بالسكاكر . وعلى غصون أخرى ثبتوا التفاح
المذهب والجوز كأنها نبتت هناك ثم عنقوا الدمى بين
الأوراق وفي القمة ثبتوا نجماً من القصدير الذهبي . كان
هذا مذهلاً .. مذهلاً بما يفوق الوصف !

قالوا جميعاً :

« هذه الليلة ! لكم ستتألق هذه الليلة ! »

فكرت الشجرة :

« آه لو يأتي الليل ! لو تشتعل الشموع ! أتساءل عما
سيحدث .. ربما تنقش الأشجار الأخرى من الغلبة لترقى ! ربما
تضرب العصافير على زجاج النوافذ .. أتساءل إن كنت
سأغرس جذوري هنا وأقف شتاء وصيفاً مزينة ! »

كانت تعرف الكثير عن الموضوع ، لكنها كانت نافذة الصبر
حتى المما ظهرها . وهذا يشبه الصداق بالنسبة لنا .

أشعلت الشموع .. يا للوهج ! يا للعظمة !! وارتجفت
الشجرة حتى إن أحد الفروع اشتعل بالنار .

صرخت الضالعات :

« الغوث ! الغوث ! »

ورحن يطفئون النار بسرعة .

هكذا لم تجسر الشجرة على الارتجاف .. كانت قلقة خشية
أن تفقد شيئاً من روعتها .. هنا تفتح الباب للدول وتدفق حشد
من الأطفال كأنهم يريدون تدمير الشجرة . وصمتوا قليلاً ،
ثم بدعوا في الصراخ حتى ردد المكان كله صراخهم ، ورقصوا
حول النار وأخذ كل منهم هدية تلو أخرى .

فكرت الشجرة :

- « ماذا يزعمون ؟ ماذا سيحدث الآن ؟ »

هنا بدأت الأضواء تنطفئ الواحد تلو الآخر . وراح واحد تلو آخر يسطو على الشجرة . لقد اتهاثوا عليها بعنف حتى أن أغصانها طقطقت .. ولو لم تثبت جيداً في الأرض لانهارت ، راح الأطفال يرقصون بألعابهم ولم ينتظر أحد للشجرة باستثناء المربية العجوز التي زحفت بين الأعصن فقط لتتأكد إن كانت هناك تينة أو تفاحة منسية .

صاح الأطفال :

- « قصة ! قصة ! »

وشدوا رجلاً بديننا نحو الشجرة . جلس تحتها وقال :

- « الآن نحن في الظل وبوسع الشجرة أن تسمع معنا .. لكنني سأحكي فقط قصة واحدة . ماذا تريدون ؟ قصة (همبى دمبى) الذى هوى من فوق الدرج وبرغم هذا عاد للعرش ، وتزوج الأميرة أم قصة (إيفيدى أفيدى) ؟ »

صاح البعض طائبين (إيفيدى أفيدى) والبعض (همبى دمبى) . دوى الصراخ . لكن الشجرة ظلت صامتة وفكرت في نفسها :

- « هل ليس مطلوب منى أى شيء على الإطلاق ؟ »

حكى لهم الرجل قصة (همبى دمبى) الذى سقط ثم صعد إلى العرش وتزوج الأميرة صفق الأطفال وصاحوا :

- « هلم .. لستم .. لستم .. »

أرادوا سماع قصة (إيفيدى أفيدى) لكن الرجل اكتفى بقصة (همبى دمبى) وقفت للشجرة ملكة تفكر ؛ فلتطور لم تحك لها عن شيء كهذا قط قالت لنفسها : إن (همبى دمبى) هوى من فوق الدرج وبرغم هذا عاد للعرش وتزوج الأميرة .. نعم لابد أن الحياة هكذا .. صدقت الأمر ؛ لأن الرجل الذى كان يحكى القصة كان وسيماً ، وتمنت ثتية أن تتزين بالأنوار والألعاب والفاكهة .

قالت لنفسها :

- « غذا ساسمع قصة (همبى دمبى) ثتية وربما قصة (إيفيدى أفيدى) كذلك .. »

في الصباح جاء الحادم والخادمة ، فقالت لنفسها :

« ستعود الروعة من جديد ! »

لكنهما سحباهما خارج الغرفة ، وعبر الدرج إلى ركن مظلم حيث لا ضوء تركاها .

فكرت الشجرة :

« ما معنى هذا ؟ ماذا أفعل هنا ؟ ماذا سأسمع الآن ؟
وانحنت على الجدار تالفة في أحلام اليقظة . وكان عندها
متسع من الوقت لهذا ، لأن الأيام والشهور مرت دون أن
يأتي أحد . وحينما جاء أحدهم أخيراً كان هذا ليضع بعض
الحقائب الكبيرة في ركن هكذا وقفت الشجرة مختبئة
وبدت كأنها نسيبت تماماً .

فكرت :

« إنه الشتاء الآن . الأرض صلبة يغطيها الثلج

لا يستطيع الناس غرسى الآن . لذا وضعوني هنا حتى
يأتي الربيع .. ما أعمق تفكيرهم ' ما أطيب البشر برغم كل
شيء ! فقط لو لم يكن كل هذا الظلام هنا . وكل هذه
الوحدة ' لا يوجد حتى أرنب برى . والعبات جميلة حينما
يغطيها الثلج . وحينما يثب الأرنب نعم . حتى لو وثب
فوقى .. لكنى لم أحب هذا وقتها .. »

سكويك .. سكويك ' صوت فأر صغير ، أخرج رأسه من
جحره ، ثم جاء آخر صغير . تشمموا الشجرة وعبثوا
بأغصانها .

قال الفأر :

« برد شديد . لهذا سيكون البقاء هنا أفضل .. شجرة
شربين عجوز .. أليس كذلك ؟ »

قالت الشجرة :

« أنا لست عجوزاً . هناك كثيرون أسن منى .. »

سألها الفأر :

« من أين جئت ؟ وماذا بوسعك عمله ؟ »

كانا فضولين للغاية ..

« أخبرينا عن أجمل بقاع الأرض . هل ذهبت هناك ؟ هل
رأيت مخزن الطعام حيث يضعون الجبن على أرفف ؟
ويغلقون لحم الفخذ من أعنى . وحيث يرقص المرء على
شموع الشحم . المكان الذي يدخله المرء نحيلاً ويخرج
بديناً مكتئباً ؟ »

قالت للشجرة :

- « لا أعرف موضعاً كهذا . لكنى أعرف الغابة حيث
تسطع الشمس وتغرد الطيور .. »

ثم حكّت عن شبابها فلم تسمع الفئران شيئاً كهذا ..
وقالا لها :

- « حقاً .. ما أكثر ما رأيت وما أسعدك ! »

قالت الشجرة :

- « أنا ؟ فى الحقيقة كانت تلك أيام سعد .. »

وحكّت لهم قصة الكريسماس وكيف زينوها بالشموع فقال
فأر :

- « يا لك من محظوظة يا شجرة الشربين العجوز ! »

- « أنا لست عجوزاً ! لقد جئت هذا الشتاء فقط .. أنا
فى عنفوان شبابى . بل إننى أقصر من عمرى . »

وفى الليلة التالية جاء الفأران مع أربعة آخرين ليسمعوا
حكاياتها . فكلما حكّت أكثر كلما تذكرت نفسها وبدأ لها أن
تلك الأيام كانت سعيدة حقاً ..

- « لكنها ستعود .. ستعود . (هامبى دامبى) سقط
على الدرج لكنه تزوج الأميرة ! »
سألها الفأر :

- « من هو (هامبى دامبى) ؟ »

فحكّت له القصة كلها ، لأنها تذكر كل حرف فيها ، ووثب
الفأر سعادة إلى قمة الشجرة ، وفى الليلة التالية جاء فأران
جديدان . ويوم الأحد جاء اثنتان أخران لكنهما قالوا إن
القصة ليست مسلية . وقد ضايق هذا الفئران الصغيرة ،
وبدأت ترى أن القصة ليست مسلية إلى هذا الحد .

سألتهما الفئران :

- « هل تعرفين قصة أخرى ؟ »

أجابت الشجرة :

- « فقط هذه سمعتها فى أسعد ليالى لكنى لم أعرف
مدى سعادتى وقتها .. »

- « قصة غبية جداً ألا تعرفين قصة عن شموع الشمع
ولحم تخزير المقعد ؟ أليست لديك قصص عن مخزن الطعام ؟ »
- « لا .. »

- « إذن الوداع .. »

واتصرفت الفئران ، وحتى الفأر الصغير ابتعد كذلك في النهاية فتنهدت الشجرة :

- « برغم كل شيء كنت مستمتعة حينما كانت الفئران الصغيرة تلتف حولي . انتهى هذا الآن .. لكنني سأسلي نفسي جيداً عندما أعود للحياة .. »

لكن متى يحدث هذا ؟

ذات صباح جاء كم من الناس يعملون في نيك الركن ، ورفعت الحقائق وجذبوها للخارج وقذفوا بها بعنف إلى الأرض لكن رجلاً جرها نحو الدرج حيث تسطع الشمس هنا فكرت :

- « الآن تعود الحياة السعيدة من جديد .. »

شعرت بالهواء النقي وأشعة الشمس الأولى .. إنها الآن في الفناء .. كل شيء مر بسرعة .

كانت هناك حركة كثيرة من حولها ، لقد كان في الفناء حديقة وكلها أزهار ، وكانت الأزهار نضرة عطرة فوق الترابزين . وكان الزيزفون مزهراً وطيور السنونو تحلق وتقول :

- « كوير فيت .. زوجي قد جاء ! »

لكن شجرة الشربين لم تفهم ما يقال قالت لنفسها :

- « الآن سأستمتع بالحياة .. »

وفردت غصونها .. لكن واحسرتها ! كانت جميعاً مصفرة ذابلة . كانت في ركن بين الأعشاب والنجم الذهبي ما زال معلقاً فيها يلعب في الشمس .

وفي الفناء كان بعض الأطفال يلعبون ، وهم من الذين كانوا يرقصون حول الشجرة ، وقد سرتهم رؤيتها . جرى أحدهم واقطع النخمة الذهبية منها . وقال :

- « انظروا ما ظل معلقاً بهذه الشجرة القبيحة العجوز ! »

فتب وهو يدوس على الأغصان فرلحت تتقصف تحت قدميه .

ورأت الشجرة حالها ، فودت لو ظلت في الركن المظلم تذكرت صباحها في الغابة وفي شجرة عيد الميلاد الجميلة ، وانفيران الصغيرة التي أصغت سعيدة لقصة (هامبي دلمبي) .

قالت للشجرة المسكينة :

- « انتهى هذا إنه ماض ' ليتني ابتهجيت حينما كانت

هناك فرصة لذلك . لكن الآن إنه ماض ! »

أحلام (تاك) الصغير

آه .. نعم ، كان هذا (تاك) الصغير .. فى الحقيقة لم يكن اسمه (تاك) لكنه الاسم الذى أطلقه على نفسه قبل أن يتعلم الكلام ، وكان يعنى بهذا (تشارلز) . يكفىك أن تعرف هذا . كان عليه أن يعنى بأخته (أوجستا) فتى كانت أصغر منه ، وكان يدرس كذلك لكن هذين الأمرين لا يصلحان معاً .

كان الصبى المسكين الصغير يجلس بأخته فى حجرة ، وهو يقضى لها الأغاني التى يعرفها ومن آن لآخر يلقي نظرة على كتاب الجغرافيا المفتوح أمامه . وفى الصباح التالى يكون عليه أن يتذكر كل المدن فى (زيلاند) غيباً ، وأن يعرف عنها كل ما هو ممكن .

الآن عانت أمه ، فقد كانت بالخارج ، وأخذت (أوجستا) الصغيرة بين ذراعيها . جرى (تاك) إلى النافذة وراح يقرأ فى لهفة حتى كادت عيناه تتلفان . لقد كان الظلام يشتد ويشد لكن أمه لم تملك ما يكفى لشراء شمع .

قالت الأم وهى تنظر خارج النافذة :

« هى ذى الفضلة العجوز فى طريقها .. لبائسة لا تكاد تستطيع جر نفسها .. وعليها أن تجر الدلو من النافورة . كن فتى طيباً يا (تاكى) وساعد العجوز .. هلا فعلت ذلك ؟ »

وجاء صبى الجنائنى ليقطع الشجرة إلى قطع صغيرة ، حتى صارت كومة كاملة هناك . واشتعلت جيداً تحت نار القدر النحاسى ، وتنهدت بعمق . فكاتت كل تنهيدة كطلقة نار .

لعب الأطفال فى الفناء ، وقد لبس أحدهم على صدره للنجم الذهبى الذى كان فخر الشجرة فى حياتها . على كل حال .. لقد انتهى الأمر .. ذهبت الشجرة ، وانتهت القصة . فكل قصة لابد أن تنتهى يوماً ما .

إذا جرى (تَك) سريعاً وعلوها ، لكن حين علا كان الظلام دسماً ، ولم يكن هناك أمل في ضوء . عليه الآن أن يلوى للفرش الذي كان مجرد حشية مقبوبة رقد فيه وهو يفكر في درس الجغرافيا وفي (زيلاند) وكل ما قاله له أستاذة . كان عليه أن يقرأ الدرس ثانية لكن هذا مستحيل كما تعرف

وضع للكتاب تحت الوسادة ، لأنه سمع أن هذه طريقة ممتازة لحفظ الدروس ، لكن ليس بوسع المرء الاعتماد عليها كلية هناك رقد وفكر وفكر ثم نام لكنه لم ينم بداً كتما الفسالة العجوز تنظر له بعينيهما الحاتيتين وتقول :

- « إنها لحطينة أن تجهل درسك صباح غد لقد ساعدتني ولذا سأساعدك . وسيعاوبك الله في كل وقت »

وفجأة بدأ الكتاب تحت وسالته يحدث صوت خدش وكشط

(كيكري كي اكلوك اكلوك ') . كانت هذه بحاجة عجوز جاءت زاحفة ، وكانت من (كيوجي) . وقاتت :

(*) ريلاند أكبر جزر الدنمارك وبها تقع العاصمة (كوبنهاجن)
طبعاً سميت (نيوزيلندا) نسبة لها ..

(* *) كيوجي بلدة على خليج (كيوجي) وقعت معركة هناك عام ١٨٠٧ بين القوات البريطانية العازية والجيش الدنماركي غير المنظم وتعتبر (رواية نجدة من كيوجي) يشبه في الدرامية تعبیر (أن ترى لظفر لندن) في الإنجليزية ، وهو ما يعني أن تصمم رسمه بين كفيك وترفعه .

- « أنا بحاجة (كيوجية) .. »

وحكت الكثير عن المكان والمعركة التي وقعت هناك ، ولتني لم تكن تستحق الكلام عنها .

- « كرييلدي كرابلدي بلام ! »

وسقط شيء على الأرض . كان هذا طائراً من خشب . التمثال الذي يستعملونه في مباريات الرماية في (براستو) . وكان فخوراً بنفسه وقال :

- « (ثوفلدسن) جاري . إن بابيه جوار بابي .. »

لكن (تَك) لم يعد نتما فجأة وجد أنه على ظهر حصان ، راح يحول بقصى سرعة . كان هناك فارس يضع ريشة لأمعة وينبس ثياب فاخرة ، يحملته أُممه على حصته . وينطلق عبر ثغابت نحو مدينة (بورنجنبورج) القديمة . وكانت مدينة كبيرة مبنية بالحجارة . كانت الأبراج ترتفع من قلعة الملك ، وتشتت شموع عديدة من كل النوافذ ، وفي الداخل كان الرقص والبقاء . وكان الملك (فالديمار) يرقص مع وصيفات الشرف الشابات نوت الثياب الفاخرة . جاء للصباح الآن ، فلما إن بزغت الشمس حتى تشتت المدينة وقصر الملك . وهوت الأبراج

(*) نعتت دنماركي شهير ..

(* *) بلدة حقيقية وكانت فيها قلعة عظيمة في عهد الملك الدنماركي ، ثم لم يبق منها إلا برج .

فلم يبق إلا برج واحد حيث كانت القنعة . صارت البندة فقيرة صغيرة . وجاء التلاميذ حاملين كتبهم وقالوا :

« هناك ٢٠٠٠ نسمة .. »

لكن هذا لم يكن صحيحاً : لأنه لم يبق الكثير

ورقد (تالكي) في فراشه شاعراً نكته كان يحلم . لكنه في الوقت ذاته يشعر بأن هذا لم يكن حتماً . وشعر بمن يقف حوزة .

صاح أحدهم :

« (تالكي) الصغير .. (تالكي) الصغير ! »

كان هذا بحارا صغير الحجم يبدو كضابط بحري . لكنه لم يكن كذلك .

« تحيتي من (كورسور) * . فيها بلدة بدأ شئها يغزو

مدينة مليئة بالحيوية فيها سفن بخارية وعربات مسافرين . في الماضي اعتبرها الناس قبيحة لكن هذا لم يعد صحيحاً . إن لدى طرقاً سريعة وحدائق .. وقد أنجبت شاعراً ذكياً مرحاً ، وهو في هذا يختلف عن الشعراء ذات مرة أردت أن أجهز سفينة تجوب العالم . لكنني لم أفعل . برغم أن هذا كان بوسعني . أضف لهذا أنني أشم جيداً . أشم تلك الزهور للعطرة جوار البوابة .. »

(*) مدينة ساحلية عند الميناء في بطنها (أكثر المدن) . لأنهم كانوا ينتظرون فيها طويلاً حتى تهب رياح موقية . وكل هذا قبل اختراع السفن البخارية .

نظر (تالكي) فرأى الكثير من الأحمر والأخضر أمام عينيه ، لكن ما إن زال ارتباك الأنوار ، حتى رأى منحدرًا من خشب جوار الساحل وفوقه كنيسة رائعة قديمة لها برجان مديبان عاليين . وعبر المرتفعات تنفست نافورات تقذف الماء بغزارة .. وحولها جنس منك قديم يلبس ثياباً ذهبياً على رأسه الشناب . كان هذا هو الملك (هرور) * قرب مدينة (رويسكيلده) كما نسميها الآن . وفوق المنحدر مشى كل ملوك وملكات الدائمرك نحو الكنيسة . متشابكي الأيدي وراح الأرغن يعزف والنافورة تصدر حفيفاً . لقد رأى (تالكي) الصغير كل شيء وسمع كل شيء ..

قال الملك (هرور) :

« لا تنس المجلس التشريعي .. »

ثم احتفى كل شيء . لأن ؟ بداله كأنما المرء قد قلب صفحة في كتاب . الآن تقف فلاحات عحوز جاءت من (سوربي) ** حيث ينمو العشب في السوق . كانت ترتدي مزرعاً قطنياً رمادياً على رأسها وكان مبتلاً جداً .. لابد أن السماء كانت تمطر ..

(*) يوم ما كتب رويسلده هي عاصمة الديمرك . لكن فيها كل ملوك الديمرك القدامى . وفيها كل أعضاء المجلس التشريعي يجتمعون

(**) مدينة صغيرة هائلة تحيط بها العلبات والبحيرات . (هولبرج) كتب منظر ديمركي يتبعه (مونير) عند الفرنسيين فُتُشاً فيها مدرسة لأبناء قبلاء

قالت :

« هو كذلك فعلاً .. »

وحكت له قصصاً ممتعة من كوميديات (هولبرج) . وحكت له عن (فالديمار) و (ألسلون) ، ثم فجأة فكمشت وراح رأسها يتأرجح وفحاة صررت ضفدعا . وقالت (كروك !) ثم عانت امرأة عجوزاً ..

قالت :

« على المرء أن يلبس ما يناسب الطقس .. به مطير . مطير .. ملبنتى تشبه زجاجة يدخلها المرء من عنقها .. وعليك أن تغادرها من عنقها ثانية ' فى الماضى كان لدى أفضل سمك ، والان صار عندى صصية متوردة الخدود فى قاع الزجاجاة ، يتعلمون الحكمة واللغات العبرية واليونانية . كروك ' »

كان كلامها يذكرك بنقيق الضفادع ، وكأنك تمشى فى أرض موحلة بحذاء ذى عنق .. نفس الإيقاع الرتيب حتى أن (تآك) غرق فى النعاس ولا لوم عليه .

لكن أثناء نومه رأى حلماً - أو ليكن ما يكون - فيه أخته (أوجستا) بعينها الزرقاوين وشعرها الأشقر المجعد صارت فتاة فرعة حسناء وبرغم أنها بلا جناحين فقد وسعها لطيرن .. والان كانت تحلق فوق (زيلاند) فوق الغابات الخضراء والبحيرات الزرقاء .

« هل تسمع لديك يا (تآكى) ؟ كوك أو بول نو . لنيكة

تطير من (كيوجى) ! سيكون عندك فناء مزرعة كبير .. كبير جداً ! لن تشعر بجوع ولا ظمأ . سوف تجوب العالم . ستكون رجلاً ثرياً سعيداً . سيرفع منزلك شأنه كنه برج الملك (فالديمار) . وسوف يزدان بالتمثال الرخامية مثلما فى (برنستو) أنت تفهم ما أعنيه . سوف يجوب اسمك العالم .. »

قال الملك (هرولر) :

« لا تنس المجلس التشريعى عندها سوف يكون كلامك حكيماً يا (تآكى) الصغير . وحينما تغيب فى النهاية فى قبرك ، سوف تنعم بنوم هادئ .. »

قال (تآك) وهو يصحو :

« كآنتى أصحو فى (سورو) .. »

كان يوماً مشرقاً وقد صار من الصعب عليه أن يسترجع تفصيل حلمه . لكن هذا لم يكن مهماً .. فالمرء لا يعرف ما قد يجنيه الغد . ومن الفراش وثب وقد صار فحاة يتذكر الدرس . ظهر رأس الفسائلة العجوز من الباب وهزت رأسها بعودة له وقالت :

« شكراً . شكراً جزيلاً يا طفلى الجميل لعونك . فيحقق لك الله أحلامك الحبيبة ! »

لم يدر (تآك) الصغير قط ما حلم به ، لكن الله تعالى يعلم .

الظل

إنما تحرق الشمس حقاً في الأراضي الحارة ! هناك
يصير لون الناس بنيًا كالماهو جنى .. أجل .. وفي الأراضي
الأكثر حرًا يحترقون ليصيروا زنوجًا . لكن الآن قد جاء
رجل مثقف من أرض باردة قاصداً الأراضي الحارة . وقد
حسب أنه يستطيع أن يعيش كما في وطنه ، لكن اتضح أنه
مخطئ .

كان عليه - ككل الأشخاص الحساسين - أن يبقى داخل
الدور .. الشيش والأبواب مغلقة طيلة اليوم . فهذا كأنما
البيت كله نائم أو لا أحد فيه .

كان الشارع الضيق ذو البيوت العالية مصمماً بحيث
يسقط ضوء الشمس عليه من الصباح حتى المساء ، ولم
يكن ممكناً تحمله .

كان الرجل المثقف القادم من البلاد الباردة شاكياً ويبدو أنه
بارع . وقد جلس في الفرن الموقد فصار ضامر الجسد .
حتى إن ظله اتكمش لأن الشمس أثرت فيه . فلم يستعد
عافيته إلا قرب الغروب عندما تغيب الشمس .

في تلك الأراضي الدافئة توجد شرفة لكل نافذة ، ويخرج
كل الناس في الشرفات . لأنه لا بد للمرء من هواء حتى
لو كان قد اعتاد لون الماهو جنى . خرج كل الحلاقين
والإسكافيين والآخرين من متاجرهم ووضعوا المنضد والمقاعد
وأشعلوا الشموع .. نعم .. أكثر من ألف ضوء يتوهج .
بينما يتكلم أحدهم ويغنى آخر . يمشى الناس وتدفق أجراس
الكنائس ، وتمضي البغال محدثة صوت (دينجل دينجل
دونج) ، لأنها هي الأخرى كانت تعلق الأجراس . أطفال
الشوارع يصرخون ويصرخون قائلين مفرقتهم الصغيرة ،
ثم يأتي حملة الجثة ولايسو غطاء الرأس في جنازة مارة ،
وهم ينشدون التراتيم . ثم تتعالى جلبة العربات المسافرة ..
نعم .. في الحقيقة كان الشارع مفعماً بالحياة .

فقط في ذلك المنزل المواجه لذلك الذي يقيم فيه الأجنبي ،
كان السكون تاماً . لكن كان أحدهم يسكن هناك ، لأنه كانت
هناك أزهار في الشرفة وكانت تنمو جيداً في ضوء الشمس .
لكن ما كان يوسعها أن تنمو لو لم يقيم أحد بربها . فلا بد
أن هناك أحداً .

(*) في الدائريكية العامية تعني لفظة (ماهو جنى) الشيء الرقيق
الجميل ..

كان الباب يفتح في ساعة متأخرة من الليل لكن كان البيت بالداخل مظلمًا على الأقل بالنسبة للغرفة الأمامية . أضف لهذا أنك تسمع صوت الموسيقى . وخطر للأخني المتقف أن هذا رائع لكن لربما تخيل ما يسمعه . كان يحب كل شيء في الأرض الدافئة فقط لو لم تكن هناك شمس . قال صاحب البيت الذي يقيم فيه الأخني إنه لا يعرف من يعيش في البيت المواجه . لم ير أحد شخصًا هناك ، وبالنسبة له كان يرى أن الموسيقى مزعجة بحق

- « كان شخصًا يجلس هناك . ويتدرب على مقطوعة موسيقية ليس بوسعه إجادتها . دانت نفس المقطوعة . إنه يقول : سوف أحيدها ، لكنه لا يستطيع مهما أظال العزف .. »

ذات ليلة صبحا العريب . كان قد تم والشرفة مفتوحة ، فارتفع الستار بفعل الريح وخيل إليه أن وهجا غامضًا جاء من بيت جاره . وأضيت الأزهار كالشموع بألوان مبهرة ، ووسطها وقفت عذراء رقيقة رشيقة كأنها تضيء بدورها لقد أذى الضوء عينيه فعلاً .

فتح عينيه بقوة .. نعم .. إنه متيقظ . يوثبة واحدة صار على الأرض وزحف خلف الستار لكن العذراء كانت قد

اختفت . لم تعد الأزهار تسطع لكنها ظلت في مكانها نضرة كما كانت دومًا . كان الباب المواجه له مفتوحًا ومن الداخل كانت الموسيقى ناعمة مبهجة .. يمكنك أن تدوب في الأفكار البهيجة التي تصيبها . كان هذا سحرًا ..

من يعيش هناك ؟ أين المدخل الرئيس ؟

ذات ليلة جلس العريب في الشرفة ، والضوء يتوهج في الغرفة من خلفه . لذا كان من الطبيعي أن يسقط ظله على جدار جاره . نعم . إنه يراه بين الأزهار في الشرفة وحينما تحرك تحرك الظل كما هي العادة .

قال لنفسه :

- « أعتقد أن ظلي هو الشيء الوحيد الحى الذى يمكن أن تراه هناك . ما أجمل جلسته العاقلة بين الأزهار . إن الباب نصف مفتوح .. لو كان الظل مأكراً واسع الحيلة لتسلل إلى الحجرة لينقى نظرة ثم يعود ليخبرنى بما رآه .. هم ! كن ذا نفع . واسدلى هذه الخدمة ! »

ولرب مزحًا :

- « كن كريمًا ولاخل .. ألن تفعل ؟ »

ثم هز رأسه لنظل فهز الظل رأسه .. قال :

« حسن .. ادخل إذن .. لكن لا تبقى طويلاً .. »

ثم نهض الغريب فنهض ظله على شرفة الجبل واستدار فاستدار الظل ..

لكن لو أن أحداً نظر بعناية لرأى أن الظل دخل من باب الشرفة نصف الموارب بمجرد أن دخل الغريب غرفته ، وترك الستار يسقط خلفه .

في الصباح التالي خرج الرجل المثقف ليحتسى القهوة ويقرأ الصحف .

خرج في الشمس فقال :

« ماذا جرى ؟ ليس لي ظل ! لقد ذهب بالفعل ليلة أمس ولم يعد ! هذا متعجب حقاً ! »

ضابقه هذا .. ليس لأن الظل ذهب ولكن لأن هناك قصة عن رجل بلا ظل (*) .. في وطنه يعرفها الكل ولو عاد لوطنه وحكاها لاعتقد الناس أنه يقلد تلك القصة .. لهذا لن يستطيع أن يحكيها وهذا قرار حكيم ..

(*) هناك قصة للكاتب (بيتر شليميل) سمها (رجل بلا ظل)

عندنا في مصر رواية الأستاذ فتحى غانم (الرجل الذى فقد ظله) وإن كان موضوعها مختلفاً طبعاً !

في المساء خرج إلى الشرفة وتأكد أن الضوء خلفه لأنه توقع أن الظل سيبحث عن سيده ، لكن هذا لم يجذبه . لم يعد هناك أى ظل .. قال :

« لحم .. لحم .. »

لكن هذا لم يجد .

كان هذا يثير الفيط ، لكن فى الأرضى الدافئة ينمو كل شيء بسرعة .. وبعد ثمانية أيام لاحظ لفرحته أن ظللاً جديداً بدأ يظهر . خلال ثلاثة أسابيع صار له ظل معقول .. ولدى عودته إلى الشمال تضخم ظله وازداد حتى صار أكثر من الكفافية .

عاد الرجل المثقف للوطن وكتب كتباً عما هو حقيقى فى
« ما هو جميل وعما هو طيب . ومرت أيام فأعولم ..
نعم .. أعولم كثيرة مرت به .

ذات ليلة كان وحده فى غرفته عندما سمع طرقات لطيفة على الباب .

قال :

« تعال ! »

لكن لم يدخل أحد . لذا فتح الباب وأمامه وقف رجل نحيل للغاية حتى بدا منظره غريباً . وكان متأثراً بشدة فلا بد أنه سيد مهذب . فسأله :

- « مع من أحظى بشرف الكلام ؟ »

قال الرجل :

- « نعم .. فكرت في هذا .. فكرت في أنك لن تعرفنى . لقد صار لدى جسد وعلى ثياب ولحم . ألا تعرف ظلك القديم ؟ لابد أنك حسبتنى لن أعود أبداً .. لقد صارت الأمور على ما يرام منذ كنت معك .. لقد أحسنت لى الحياة .. فهل لى أن أشتري حريتى ؟ لو كان هذا ممكناً فهو بوسعى . »

ووضع يده فى السلسلة الذهبية المحيطة بعنقه .. ليس هذا فحسب .. إن أصابعه ازدانت كلها بالخواتم العاسية وكلها أصلى .

قال الرجل المثقف :

- « كلا .. لا أستطيع الخلاص من دهشتى .. ما معنى

هذا كله ؟ »

قال الظل :

- « هو ليس بالشىء المعتاد .. لكنك لست شخصاً عادياً .. ولما أتبعك منذ طفولتى ، فما إن وجدت بوسعى لاستكشاف العالم وحدى فعلت ذلك . وددت أن أراك مرة قبل أن تموت . أردت كذلك أن أرى هذه الأرض ثانية لأننا جميعاً نحب وطننا الأم .. أعرف أن لديك ظلاً جديداً . لو كنت تريد ثمناً لحريتى فإبنى سأشكرك لو أخبرتنى به . »

قال الرجل المثقف :

- « هل الأمر كذلك حقاً ؟ لم أتصور قط أن يأتى ظل المرء ليقابله .. »

قال الظل :

- « قل كم على أن أدفع لأننى لا أحب أى نوع من الديون .. »

قال الرجل المثقف :

- « كيف تتكلم كذا ؟ أى من تتكلم عنه ؟ كن على راحتك . يصرنى أن أعرف بطاعتك الحسن فجلس ، واحك لى ما حدث لك ، وما رأيته عند جارنا هناك فى الأرض الدافئة .. »

جلس الظل وقال :

- « حسن .. سأحكى لك كل شيء .. لكن عليك أن تعنى
ألا تخبر أحدا هنا أنني كنت ظلك .. أنا أتوى أن أخطب
.. لأننى بحاجة لأسرة .. »

قال الرجل المثقف :

- « اطمئن بهذا الصدد ، فن أخبر أحدا بحقيقتك . أعدك
ورباط الرجل كلمته .. »

قال الظل :

- « الكلمة ظل .. وكما يتكلم الظل تتكلم .. »

كان من العدهش أن ترى لآى حد صار رجلاً .. كان
يلبس السواد وحذاء واسفا ذا رقبة ، وقبعة يمكن شيها .
أضف لهذا أنه كان يحمل أختاماً وسلسلة ذهبية ، وخواتم
ماسية .. أجل .. كان الظل يلبس جيداً لذا بدا كالإنسان .

- « سوف أخبرك بمغامراتى .. »

قالها الظل وجلس وأراح حذاءه للصقيل على نراع ظل رجل
المثقف الجديد ، الذى تمدد عند قدميه ككلب (بوجل) .
كان هذا يدل على الغرور ، وقد ظل الظل على الأرض
صامتاً حتى يسمع كل شيء .. تمنى أن يعرف طريقة
التحرر وكيف يشق لربه ليصير سيد نفسه .

قال الظل :

- « هل تعرف من كان يعيش لأمنا ؟ كنت أكثر المخلوقات
روعة .. كانت هى (الإلهام) ! لقد بقيت هناك ثلاثة
أسابيع كانت كأنها ثلاثة آلاف عام وقرأت كل ما هو مكتوب
أو مؤلف .. معنى هذا أنني رأيت وعرفت كل شيء ! »

صاح الرجل المثقف :

- « (الإلهام) ! نعم . نعم .. إنها تعيش منعزلة فى
المدن الكبرى .. (الإلهام) . رأيتها للحظة ثم تسلل النوم
إلى عيني .. لقد وقفت فى الشرفة وأضاعت مثل الفجر
(أورورا) .. هلم أكمل .. أنت كنت فى الشرفة ثم دخلت
للحجرة وعندها .. »

قال الظل :

- « وعندها صرت فى الغرفة المؤدية للغرفة الأساسية ..
أنت لا ترى إلا هذه الغرفة . هناك لا ضوء لكن ترى نوعاً
من الشفق .. والباب مفتوح فى مواجهة الباب الآخر
يفصلهما ممر طويل من الغرف والصالونات .. لو ذهبت
إلى الطراء مباشرة للقيت حفى ، لكنى كنت حذراً وتريثت
قليلاً أفكر .. »

- « وماذا رأيت عندئذ ؟ »

- « رأيت كل شيء ولنسوف نحكي لك ، لكن . فتمنى ألا ترفع الكلفة في الحديث معي . وأن تستعمل ضمير you .. (الألقاب)
خلصة مع ما يلقاه من مركز في الحياة وكل ما لدى من مل »

قال الرجل المثقف :

- « أستميحك عذراً . هي عادة قديمة لدى .. أنت محق ولنسوف أتذكر هذا .. لكن عليك الآن أن تحكي لي كل ما رأيت .. »

قال الظل :

- « كل شيء .. فأنا رأيت وعرفت كل شيء . »

سأله المثقف :

- « كيف كان الأمر في الصالون الأخير ؟ »

(*) الفرق لا يتصح في العربية والإنجليزية ، لكنه مأثوف لدى من يعرفون الفرنسية والألمانية والدانمركية الخ وقد حول المترجم تقريب الصورة بقارى الإنجليزية ، فالضمير you يستعمل عند وجود كلمة وصيغة رسمية ، أما الضمير thou فيستعمل بين الأصدقاء الحميمين وعادة للدانمركيين أو يتبادلان الصديقين للشراب ثم يقررا أن يصيرا Thou brothers أى أنهم لن يستعملا للصيغة الرسمية بينهما بعد اليوم

- « كل شيء كان هناك .. لم أدخل مباشرة بل وقفت في الصالون الأول في ضوء الشفق .. لكنى رأيت وعرفت كل شيء ! »

- « وماذا رأيت ؟ هل رأيت أبطال الملاحم يتصارعون هناك ؟ هل رأيت الأطفال يلعبون هناك ويحكون عن أحلامهم ؟ »

- « قلت لك إننى رأيت كل شيء .. لو أنك كنت هناك لما صرت بشرياً لكننى صرت بشرياً ! تعلمت أن أرى داخلى وأن أفهم خصائص المتأصلة .. حينما كنت معك وكانت الشمس تشرق أو تغرب ، كنت أصير عظيماً .. وفي ضوء القمر كنت مميزاً جداً أكثر منك .. لكننى فى تلك الغرفة فركت طبيعتى لقد صرت رجلاً خرجت من هناك ناضجاً لكنك لم تكن وقتها فى الأرضى الدافئة .. ووجدت نفسى فى حالة حرج من أن امصى كما أنا .. كنت بحاجة إلى حذاءين وثياب . إلى كل الطلاء الأسمى الذى يجعل الإنسان مقبولاً . اتخذت طريقى - وهذا لن تكتبه أو تحكيه أبداً - إلى بائعة الكعك وتواريت خلفها . لم تدر المرأة بكل هذا الذى تخفيه وراءها خرجت فى الظلام لأول مرة وجريت فى الشوارع فى ضوء القمر . استطلت على الجدران ، وهذا يدغدغ الظهر

بطريقة ممتعة ! جريت واختلست النظر عبر النوافذ ، ورأيت ما لم يره أحد قط .. وما لا يجب لأحد غيرى أن يراه ! الحق أن هذا العالم خسيس ! رأيت ما لم يره إنسان لكن رأيت ما يتعنى كل إنسان أن يراه ! لو كتبت صحيفة لراجت جداً .. لكنى كتبت مباشرة للأشخاص أنفسهم ، فعم الذعر الناس فى المدينة . خافوا منى بشدة وبرغم هذا أولعوا بى .. الأستاذ جطونى لستأذا .. والحياطون فصلوا لى ثياباً جديدة .. دار صك العملة أصدرت عملة تحمل صورتى ، وقلت لتسوة إتنى وسيم ! من ثم صرت الرجل الذى أنا عليه .. الآن أقروك السلام . أنا أعيش فى الجانب المشمس من الشارع وفى الأيام للمطيرة أبقى فى البيت . »

من ثم رحل الظل ، فقال الرجل المثقف .

« كان هذا خارقاً للطبيعة ! »

ومرت أعوام ثم عاد الظل ، وسأله :

« كيف الحال ؟ »

قال الرجل المثقف :

« واحسرتاه ! أنا أكتب عن الحق والخير والجمال لكن أحداً لا يبالى بسماع هذه الأشياء .. فأقنط أنتم من هذا . »

قال الظل :

« لكنى لا أفعل هذا .. لقد صرت بديناً وهذا ما أتوق إليه . أنت لا تفهم هذا العالم .. سوف يصيبك بالسقم .. يجب أن تسافر .. أنا أتوى السفر هذا الصيف فهل تأتى معى ؟ هل تقبل أن تكون رفيق سفرى كظل ؟ سوف أدفع نفقات السفر كلها .. »

قال الرجل المثقف :

« لا .. هذا كثير ! هذا سيئ ! »

قال للظل :

« هكذا حال العالم كله ! »

ثم رحل .. لكن الرجل المثقف كان فى حال لا يحسد عليها . كان يشعر بالحزن والعذاب . وكان كلامه عن الحق والخير والجمال لا يعنى لأكثر الناس إلا ما تعنيه الأرهار للبقرة ! فى النهاية أصابه السقم وقال له أصحابه :

« أنت تبدو كالظل فعلاً ! »

وارتجف الرجل المثقف ..

قال له الظل إذ جاء يزوره :

« يجب أن تذهب لمكان فيه ماء .. سأخذك معي إكراماً لصدائقتنا .. سوف أضع التكاليف ، وكتب ما تراه أنت فريماً راق لي .. أنا أيضاً أريد الاستشفاء بالماء فلحيتي لا تنمو كما ينبغي .. وهذا مرض آخر . فالمرء يجب أن يكون ملتحمياً .. »

هكذا سافرا .. الظل صار السيد والسيد صار الظل .. ركبا معاً ومشيا معاً . وحيثما كانت الشمس حرص الظل على أن يكون حيث يوجد سيده .. ولم يفكر الرجل المثقف في هذا كثيراً لأنه كان رجلاً طيب القلب ودوداً . لذا قال ذات يوم للظل :

« ما رأيك بما أنا صرنا رفيقين أن تشرب نخب الصداقة الذي يتيح لي أن أحاطبك بلا تفخيم* .. »

« أوصيت القول لكن هتك طبوع غريبة للناس .. بعضهم لا يطيق أن يلمس ورقة رمادية وإلا اعتراه السقم بعضهم يرتجف لدى سماع صوت ظفر على لوح زجاجي .. هكذا أشعر أنا كلما سمعك تخاطبني بدون تفخيم . أشعر كأنما أنا أنضغط أرضاً لأعود لما كنته معك .. هذا مجرد إحساس وليس مسألة كبرياء .. لا أستطيع أن أسمع لك بمناداتي بلا تفخيم ، لكن يمكن أن أناديك بلا تفخيم وبهذا ننجز نصف المهمة .. »

(*) راجع الهامش السابق .

بدا الأمر غريباً للرجل المثقف لكنه كان مرغماً على تحمله ..

وصلا إلى مكان الاستشفاء بالماء حيث كان غرباء كثيرون ، وبينهم كانت أميرة متضايقه من حدة بصرها .. وقد لاحظت أن الغريب الذي وصل يختلف عن كل الناس :

« جاء هنا لتنمو لحيتك كما يقولون ، لكنني أعرف السبب الحقيقي .. إنه لا يملك ظلاً .. »

لذا دخلت على الفور في محادثة مع السيد الغريب أثناء التزهة . وبما أنها ابنة ملك فب كان لها أن تتوقف عند أمور تافهة . قالت :

« هل شكواك أنه لا ظل لك ؟ »

قال الظل :

« لابد أن سموك تتحسّن بشكل ملحوظ ! كنت شكواك أنك ترين بوضوح أكثر من اللازم لكن هذا المرض قد شفى . مشكلتي هي أن لي ظلاً غير معتاد . ألا ترين هذا الذي يمشي معي ؟ الناس العاديون لهم ظل عادي لكني لا أحب ما هو معتاد . لهذا منحت هذا الظل ظلاً كما ترين . هذا يكلف مالاً لكنه يمنحني التميز ! »

فكرت الأميرة :

- « ماذا ؟ هل شفيت حقاً ؟ هذه الحمامات هي الأفضل في العالم . في عصرى كان الماء ذا قدرات خارقة ، لكنى لن أترك هذا المكان لأنه صار مسلياً .. أنا معجبة بهذا الغريب .. ليت لحيته لا تنمو لأن هذا معناه أن يفارقنا ! »

في المساء رقصت الأميرة والظل معا في غرفة الرقص .. كانت خفيفة لكنه كان أخف .. لم ترق رقيقاً كهذا في الرقص .. أخبرته من أين جاءت ، وكان يعرف بلدها . لقد زاره ورأى كل شيء . أخبرها بأدق الأسرار حتى أصابها الذهول . لابد أنه أحكم رجل على ظهر الأرض !! لذا حين رقصا ثانية كانت قد وقعت في حبه . وقد لاحظ الظل هذا لأن عينيها كادت تخترقانه . رقصا من جديد معا وكانت تصارحه بحبها ، لكنها كانت متحفظة . كانت تفكر في بلدها وملكها . وفي القوم الذين سوف تحكمهم .

قالت لنفسها :

- « هو رجل حكيم .. وهو يرقص ببراعة .. هذا جيد . لكن هل معلوماته قوية ؟ لابد من اختبار هذا ! »

لذا بدأت على مراحل تسأله عن أصعب الأمور التي خطرت لها .. فبدأ تعبير غريب على وجه الظل

سألته :

- « ألا تستطيع الإجابة ؟ »

- « إنها تنتمي لما تعلمته طفلاً .. لتق في أن ظلى الواقف على الباب هناك يستطيع أن يجيبك .. »

قالت الأميرة :

- « ظلك ؟ إن هذا ليكون رائعاً ! »

قال الظل :

- « لست واثقاً من أنه يستطيع ، لكن أظن هذا .. لقد تبغى أعواماً طويلة وسمع محادثاتى .. لكن اسمح لى بإبداء ملحوظة يا سمو الأميرة .. إنه فخور بقدرته على أن يتكرر كبشر .. لذا يجب عليه أن يعامل كبشران كى يستطيع الإجابة على أسئلتك .. »

قالت الأميرة :

- « آه .. أنا أحب هذا .. »

لذا اتجهت نحو الرجل المثقف وكلمته عن الشمس والقمر وعن الناس في العالم الأحياء منهم والأموات .. وقد أجاب بحكمة وحصافة .

فكرت :

- « يا للرجل الذى يملك ظلاً بهذه الحكمة ! ستكون نصبة لشعبى لو فزت به زوجاً ! سوف أفعل هذا ! »

سرعان ما تم الاتفاق لكن قررا إبقاء الأمر سراً حتى تعود إلى مملكتها .

قال الظل :

- « لا أحد .. حتى ظلى ! »

وكان يفكر فى الأمر . وقتل لصديقه المتعلم :

- « اسمع يا صاحبنى .. لقد بلغت ذروة القوة والسعادة .. لذا سأفعل شيئاً خاصاً لك .. سوف تعيش معى أبداً فى القصر وتركب معى فى العربة الملكية ، وتعال عشرة آلاف جنيه كل عام .. لكن عليك أن تقبل أن يعتبرك الكل ظلاً لا تقل أبداً أنك رجل . وكلما جلست فى الشمس فى الشرفة سيكون عليك أن ترقد عند قدمى ، كما يفعل الظل ! أنا سوف أتزوج ابنة الملك وسوف يعقد الزواج الليلة ! »

قال الرجل المثقف :

- « كلا ! لقد ذهبت بعيداً جداً ! لن أفعله ! معنى هذا لن

تخدع بلداً بأكمله والأميرة كذلك .. سأخبر الناس بكل شيء .. أنك ظل وأنتى رجل وأنتك تلبس ثياباً لتخدعهم ! »

قال الظل :

- « لن يصدقك أحد .. تعقل وإلا ناديت الحرس ! »

قال الرجل المثقف :

- « سوف أذهب إلى الأميرة .. »

قال الظل :

- « بل أنا سأذهب أولاً ، وعندها تذهب أنت للسجن ! »
وكانوا مرغمين على هذا لأنهم يعرفون أن الأميرة ستزوجه ..

قالت الأميرة إذ جاء الظل لغرفتها :

- « أنت ترتجف .. هل حدث شيء هذه الليلة بينما إجراوات الزفاف جاهزة ؟ »

قال الظل :

- « قد عشت حتى أرى أقصى ما يمكن للمرأة أن يراه ! فقط تخيلي .. إن عقل هذا الظل لا يتحمل الكثير . لقد جن

الأسرة السعيدة

ظلي وهو يعتقد أنه بشر .. ويعتقد - تصوري هذا - أنني أنا ظله !

قالت الأميرة :

- « مريع ! لكنه معزول .. أليس كذلك ؟ »

- « لا أعقد أنه سيظل .. »

- « يا للظل البائس ! إنه تعس الحظ .. يخيل إلي أنه من الواجب علينا أن نقضى عليه بهدوء ليستريح .. »

قال الظل :

- « هذا صعب بالتأكيد .. لأنه كان خادماً مخلصاً .. »

وتنهَّد .. فقالت الأميرة :

- « أنت شخص نبيل ! »

أضيت المدينة كلها في المساء ودوت المدافع يوم يوم ! واستعرض الجنود أسلحتهم . هذا هو الزواج فعلاً ! وخرجت الأميرة والظل إلى الشرفة لتتقى (هور) (أخرى ..)

لم يسمع الرجل المنقف شيئاً من هذا لأنهم كانوا قد قضاوا عليه .

أكبر ورقة شجرة في هذه البلاد هي بحق ورقة لو وضعها المرء أمامه لبنت كميدعة ، ولو وضعها على رأسك في المطر لكنت مفيدة كال مظلة ، لأنها كبيرة جداً .. إن نبات (البيردوك) الشوكي الذي ينبت هذه الورقة لا ينمو وحده ، إنما حيث وجدت نبتة وجدت أخريات .. إنه رائع . وهذه الروعة كلها طعام للقواقع .. القواقع البيض النسي كان عليه القوم قديماً يأكلونها ويقولون : « هم هم .. ما أذاها » .. لأنهم كانوا يحسبون طعمها شهياً .. هذه القواقع كانت تتغذى على أوراق التبت ، ولهذا كان الناس يبنون بنور (البيردوك) .

الآن هناك بيت صاحب العزبة حيث لم يعد أحد يأكل القواقع ، لذا انقرضت هذه لكن نبات (البيردوك) لم ينقرض . لقد نما في كل مكان وفي كل الممرات ، ولم يقدر أحد على السيطرة عليه .. كانت غابة من (البيردوك) ولولا شجرة تفاح هنا أو هناك لما اعتقدت أبداً أن هذه حديقة . كانت هذه غابة (البيردوك) وهناك عاش آخر قوقعين محترمين .

لم يكونا على علم بعمرهما .. فقط يعرفان أنهم كانوا كثيرين وأنهم كانوا من أسرة جاءت من أرض أجنبية ، وأنه من أجلهم زرعت الغابة . لم يخرجوا منها قط لكنهما يعرفان أن هناك أشياء أخرى في العالم . مثلاً هناك بيت صاحب العزبة .. هناك كانوا يسبقون حتى يسود لونهم ثم يوضعون على طبق فضي .. لكن ماذا بعد هذا ؟ لم يعرف أحد .. هل لم يعرف أحد كيف يكون شعور من يسبق ويوضع في طبق . لكن قيل إن هذا جميل وأقرب للرقى لم تعطهم الخنافس ولا الضفادع ولا ديدان الأرض إجابة لأن أحدها لم يسبق ويوضع في طبق فضي .

كان القوقعان الأبيضان العجوزان هما الوحيدان من ذوى الحيشة في العالم الذى يعرفته . لقد زرعت الغابة من أجلهما وتم تشيد بيت العزبة ليتاح لهما أن يسبقا ويوضعا في طبق فضي .

الآن كانا يعيشان في وحدة وسعادة .. ولم يكن لديهما أطفال ، فتبنيا قوقعا عاديا .. لكن الصغير لم ينم لأنه كان من أسرة عادية . إلا أن العجوزين - خاصة السيدة قوقة - اعتقدا أنهما يريان نموه . وطميت الأم من الأب أن يتحسس القوقع ليرى نفسه .. فعل هذا ووجد أنها محقة .

ذات يوم هبت عاصفة مطيرة شديدة .

قال الأب قوقع :

- « اسمعى كيف تضرب أوراق الأشجار بعنف ! »

قالت الأم قوقة :

- « هناك كذلك قطرات مطر .. الآن ينهمر المطر فوق الساق . سيبتل المكان هنا .. أنا سعيدة ببيتنا الجميل وخاصة أن هناك بيتاً للصغير كذلك ! لقد رزقنا بما هو أكثر من أى مخلوق آخر .. ألا ترى أننا أناس مهمون ؟ لقد رزقنا بيت منذ ولادتنا وقد زرعت غابة (البوردوك) من أجلنا . أريد أن أعرف لى مدى تمتد وماذا وراءها ! »

قال الأب قوقع :

- « لا يوجد شيء . لا يوجد مكان أفضل من هذا وليس لدى ما أتمناه ! »

قالت السيدة :

- « نعم .. لكنى ما زلت أرغب فى أن أذهب لبيت العزبة ، نسبق ولوضع في طبق فضي .. كل أجداننا مروا بهذا . لابد أن هناك شيئا عظيماً فى الأمر . أؤكد لك ! »

قال الأب قوقع :

- « لابد أن بيت العزبة قد تهاوى خراباً .. أو أن نباتات (البوردوك) غطته . لا يجب أن نتعجل هذا .. أنت متعجلة يوماً

والصغير بدأ يكتسب طباعك .. ألم يكن يزحف على تلك السق
منذ ثلاثة أيام ؟ إبنى أشعر بالصداع إذ أبحث عنه .. »

قالت الأم :

- « لا يجب أن توبخه .. إنه يزحف بحرص وسوف يمتننا
الكثير من البهجة .. لكن ألم تفكر في الأمر ؟؟ من أين
نأتى له بزوجة ؟ ألم تفكر في أن يوجد من هم مثلنا في
مكان ما في قلب غابة (البردوك) ؟ »

قال العجوز :

- « قواقع سود .. أجلس على قول هذا .. هناك قواقع سود
كثيرة بلادار .. لكنها منحطة مغرورة .. إلا أننا يمكن أن ننفذ
للنمل كي يبحث لنا .. إنه يجري ذات اليمين واليسار كإنه يبحث
عن شيء ما ، ولربما يعرف شيئاً عن قوقعة تناسب الصغير ! »

قالت نملة :

- « لنا أعرف واحدة .. الأكثر فتنة ! لكن أفضى ألا تنجح
لأنها ملكة ! »

قال العجوز :

- « لا مشكلة .. لكن هل لديها بيت ؟ »

قالت النملة :

- « لديها قصر ! أجمل قصر نمل وفيه سبعمائة ممر ! »

قالت للقوقة الأم :

- « شكراً لك ! إن ابننا لن يسكن في كومة نمل .. لو
لم تعرفي ما هو خير من هذا فلسوف نكلف بهذا البعوض
الأبيض .. إنه يطير بعيداً وفي الشمس والمطر .. إنه
يعرف الغاية كلها من الداخل والخارج . »

قال البعوض الأبيض :

- « لدينا زوجة له .. على بعد مائة خطوة من خطوات
البشر من هنا توجد قوقعة صغيرة في بيتها ، على شجيرة
من غيب الثعلب .. إنها وحيدة وأكبر سنناً من أن تتزوج .
لكنها موجودة على بعد مائة خطوة من خطوات البشر ! »

قال العجوزان :

- « حسن .. دعها تأت له .. إن لديه غابة (بيردوك)
كاملة وهي لا تملك إلا شجيرة .. »

هكذا ذهب البعوض والنقط الآسة قوقعة . لتتفرق وصولها
لسبوعاً ، لكن كان من الجميل أن ترى أنها من نفس الفصيلة .

قصة أم

جلست الأم مع صغيرها مكتبة خائفة عليه من الموت !
كان شاحباً ، وعيناه مغفلتان وكان يجذب نفسه في وهن من
آن لآخر ، ومن حين لآخر يأخذ شهيقاً عميقاً كأنما هو
يتنهد فراحت الأم تنظر بأسى إلى المخلوق الصغير .

ثم دوت طرقه على الباب . ومنه دخل رجل عجوز فقير
يلتف بغطاء ظهر جواد لأنه يبعث الدفء ، وكان الرجل
بحاجة إليه لأن هذا كان موسم الشتاء البارد . كل شيء
خارج الأبواب كان مغطى بالثلج والجليد وهبت الرياح حتى
توشك أن تمزق الوجوه ..

إذ ارتجف الرجل برداً ونام الطفل للحظة ، نهضت المرأة
وصبت بعض الشراب في وعاء ووضعه على الموقد لتدفئه ..
جلس العجوز وهز المهد ، فجلست المرأة تتفحص صغيرها
وهو يسحب أنفاسه بقوة . ورقعت يده الصغيرة .

قالت للرجل :

- « هل تحسبني لن أستطيع إنقاذ ؟ إن الرب سيبيقيه
لي ' »

وهكذا تم الاحتفال بالزفاف . وأضاءت ست ديدان أرض
نفسها قدر ما استطاعت . وكان للحفل هدناً جداً لأن العجوزين
لم يتحملاً الكثير من الصخب ، إلا أن السيدة قوومة ألقت خطبة
جميلة . لم يستطع الأب قووم أن يتكلم لأنه كان متأثراً ..
وقدم لهما ميراثاً ، ثم قال لهما إن هذه الغاية أجمل شيء
في العالم ، وإنهما لو تزوجا وتكاثرا لأمكن لأطفالهما أن
يدخلوا بيت العزبة حيث يسبقون ويوضعون في أطباق
فضية . بعد هذه الخطبة زحف العجوزان إلى بيتهما ولم
يخرجا . لقد ناما على حين حكم الشهابان الغبة وكانت لهما
ذرية عظيمة لكنهما لم يسبقا .. ولم يوضع في طبق فضي ..
من هذا استنتجنا أن بيت العزبة تهاوى وأن الجنس الثمري
انقرض ولم يجادل أحد لذا افترضنا أن الأمر كذلك .

إن لمطر يضرب الأوراق ليحدث صوت الطبول من أجلهما ،
والشمس تسطع لتكسب غبة (البردوك) لوناً من أجلهما ..
وكانا سعيدين جداً .. كانت كل الأسرة سعيدة جداً لأنها
كانت كذلك حقاً .

كان العجوز هو الموت ذاته ، وقد هز رأسه بشكل غريب بما معناه نعم أو لا . فنظرت المرأة إلى حجرها وجرى الدمع على خديها .. ثقل رأسها فهي لم تغلق عينيها منذ ثلاثة أيام الآن نامت لكن للحظة بعدها استيقظت مجفلة وارتجفت برذا .

قالت :

- « ما هذا ؟ »

ونظرت في كل اتجاه لكن العجوز كان قد رحل . وكان طفلها قد رحل كذلك . لقد أخذته معه ، وراحت الساعة العتيقة في قركن تطن وتطن .. سقط جزء ثقيل منها على الأرض فتوقفت .

جرت الأم البائسة خارج منزلها تصرخ منادية صغيرها .

هناك وسط الجليد جلست امرأة في ثياب سود طويلة وقالت :

- « كان الموت في غرفتك ، وقد رأيته يجرى مع طفلك للصغير به أسرع من لريح وهو لا يعيد أبدا ما أخذ »

قالت الأم :

- « فقط قل لي في أي طريق ذهب .. قل لي الطريق

وسوف أجده ! »

قالت المرأة ذلت للثياب السود :

- « أنا أعرف .. لكن قبل أن أخبرك يجب أن تتشدني كل الأغاني التي غنيتها لطفلك .. أنا أحبها .. أنا الليل ولقد سمعتها من قبل ولمحت الدمع في عينيك وأنت تعنين ! »

قالت الأم :

- « سأغنيها جميعا .. جميعا .. لكن لا توقفني .. يجب أن أجد طفلي ! »

لكن الليل وقف صامتا .. من ثم صفقت الأم بيديها وغنت الكثير ومعه الكثير من الدموع .. ثم قال الليل :

- « اتجهي يمينا إلى غابات الصنوبر المظلمة .. هناك رأيت الموت يذهب مع طفلك .. »

تقاطعت الطرق في قلب الغابة ، ولم تعد تعرف أين تذهب .. هناك وقفت شجرة شوك لا تجد عليها ورقة ولا زهرة ، وكان هذا الشتاء باردا لذا كانت هناك رقائق ثلج على غصونها .

قالت الأم :

- « ألم ترى الموت يمر من هنا مع طفلي ؟ »

قالت شجرة الشوك :

- « بلى .. لكن لن أخبرك أى طريق سنك ما لم تدفنى قلبى .. أنا أموت من البرد وسوف أصير قالب ثلج »

ضمت الأم شجرة الشوك إلى صدرها بقوة ، حتى تبعث فيها الدفء . واخترق الشوك لحمها فسال الدم بقطرات كبيرة لكن شجرة الشوك أثبتت أوراقا خضرا طازجة ، ونبتت منها الأزهار . كان قلب الأم الحزينة دافئا من ثم أخبرتها شجرة الشوك بالطريق .

وصلت إلى بحيرة كبيرة ، حيث لم يكن قارب ولا سفينة .. كانت متجمدة بالكامل ليس بما يكفى لحملها . ولم تكن ضحلة بما يكفى لخوضها .. من ثم ركعت لتشرب البحيرة .. كان هذا مستحيلا بالنسبة لبشرى لكن الأم الحزينة توقعت معجزة برغم هذا .

قالت وهى تيكى :

- « أوه .. ما الذى لن أعطيه كى أسترجع طفلى ؟ »

وبكت أكثر .. غاصت عيناها فى البحيرة حتى صارتا لؤلؤتين ثمينتين .. لكن الماء حملهما لأعلى .. ووجدت المرأة أنها

تطير فوق الأمواج إلى الجانب الآخر حيث كان بيت غريب عريض لا يعرف المرء إن كان جبلا مليئا بالغابات والكهوف ، أم أنه مبنى . لكن الباتسة لم تره لأن عينيها تلتفتا من البكاء .

وتساءلت :

- « أين أجد الموت الذى اختطف طفلى ؟ »

قالت لاحتوتية المعجوز المكلفة برعاية صوبة نباتات الموت :

- « لم يأت بعد .. كيف وصلت هنا ومن ساعدك ؟ »

قالت :

- « ساعدنى الله .. إنه رحيم وإبنى لأرجو أن ترحمبنى مثله .. أين أجد طفلى ؟ »

قالت المعجوز :

- « لا أعرف . لقد نبتت زهور وأشجار كثيرة هذه الليلة .. سيعود الموت ليعيد زرعها .. تعرفين أن كل إنسان له نبتة عمره . وهذه النباتات لها قلوب تنبض .. ابحنى عن قلب طفلك لربما عرفته . لكن ماذا تعطينى لو أخبرتك بما يجب أن تعرفيه ؟ »

قالت الأم للحزينة :

- « ليس لدى شيء . لكنى سأذهب لنهاية العالم من أجلك ! »

قالت العجوز :

- « لا .. ليس لدى شيء هناك . لكن بوسعتك إعطاني شعرك الأسود الطويل . أنا أحبه ! سوف تتألمين شعري الأبيض بدلاً منه ، وهي ليست صفقة خاسرة . »

قالت :

- « هل من شيء آخر أحبه لك ؟ »

وأعطتها شعرها الأسود الجميل وأخذت شعر المرأة الأبيض كالثلج .

هكذا بخلنا صوبة نباتات الموت حيث تنمو النباتات بشكل غريب على بعضها .. هناك كانت نباتات الحنقية تقف تحت أجراس زجاجية ، وهناك نبات عود الصليب سميك الساق ، وكثير من نباتات الماء . بعضها نضر وبعضها نصف مريض . كانت الثعابين تلتف على بعضها . ثم كانت أشجار نخيل جميلة وبلوط ونبات أذن الحمل .. كل زهرة وكل نبات كان له اسمه . كل منها كانت حياة بشرية .. ما زال القلب البشري يعيش .. هذا في الصين وذاك في (جرينلاند) .. إلخ .

دنت الأم المذعورة من النباتات فسمعت صوت دقات القلب البشري ، ومن بين الملايين عرفت قلب ابنها .

صاحت :

- « هذا هو ! »

ومدت يديها إلى زعفرانة مريضة معلقة إلى جنب .

قالت العجوز :

- « لا تلمسي الزهرة ! لكن فقي هنا ، وحينما يعود الموت - ولنا بانتظاره - لا تدعيه يقطف الزهرة . هديده بك أنك ستفطين الشيء ذاته بالأخريات ! سوف يخاف ! إنه مسنول عنها ولا يسمح لأحد بقطفها ما لم يأمر هو بذلك .. »

فجأة هبت ريح باردة فعرفت الأم للكيفة أن الموت قد جاء .

قال :

- « كيف جئت هنا ؟ وكيف سبقتني ؟ »

قالت :

- « أنا لم .. »

مد الموت يديه الطويلتين إلى الزهرة الصغيرة ، لكنها اعتصرت يديه .. نفخ في يديها فسقطتا علجرتين .. وقال لها :

- « لا يمكنك عمل شيء لى .. »

- « للرب يستطيع .. »

وبكت كثيرا . ثم على حين غرة مدت يدها وأمسكت
بزهرتين جميلتين وصاحت :

- « سامزق هاتين الزهرتين لأننى يائسة ! »

صاح الموت :

- « لا تلمسيهما ! أنت تقولين إنك تعسة .. لكنك تريدان
جعل أمين أخرتين تعسيتين ! »

- « أم أخرى ! »

قالتها ثم أطلقت الزهرتين ..

قال الموت :

- « إليك عينك ثاتية .. لقد انتشلتها من البحيرة . لم
أعلم أنها لك .. خذيها . إنها الآن أكثر لمعتا من ذى قبل .

أنظري إلى البئر العميقة بقربك .. سأحريك باسم
الزهرتين اللتين عدلت عن قطفهما ، وسوف ترين
حياتيهما . وسوف تعرفين ما كنت ستدريين . »

نظرت إلى البئر ، فرأت كيف صارت إحدى الزهرتين نصبة
للشجر وسعادة تملأ كل مكان ، وكيف صارت الأخرى ألما
وشقاء ورعبا وتشردا ..

قال للموت :

- « كلتاها إرادة الله .. »

سألته :

- « أليتهما الزهرة السعيدة وأليتهما الزهرة تعسة للحظ ؟ »

قال الموت :

- « هذا لن أخبرك به .. لكن دعيني أخبرك أن إحداها
كانت تمثل مستقبل ابنك . إن هذه الزهرة هى ابنك وأنت
رأيت مستقبله ! »

صرخت فى رعب :

- « أليهما طفلى ؟ قل لى ! لرحم ابنى البرىء من كل هذه
للعسة ! خذه معك .. قس بموعى ! قس كل ما فطته ! »

قال الموت :

- « لا أفهمك . هل تريدان استعادة طفلك أم آخذه إلى
هناك حيث لا تعرفين ؟ »

ضربت الأم كفيها مغا وسقطت على ركبتيها ، ودعت الله :

- « إن إرادتك هى الأكثر حكمة يا الله ! فلنكن مشييتك ! »

وحنت رأسها فى حجرها ، من ثم أخذ الموت طفلها
وتنطلق إلى عالم مجهول .

الضفدع القفاز

قرر برغوث ونطاط غيط وضفدع قفاز أن يروا أيهم يقفز أعلى ، ولهذا دعوا العالم كله وكل شخص آخر ليرى الاحتفال . كانوا قفازين مشهورين كما يقول الجميع إذ التقوا معاً في الحجرة .

قال الملك :

« سأقدم ابنتي لمن يثب أعلى من غيره .. إذ ليس من المسلى ألا تكون هناك مكافأة للقفز .. »

كان البرغوث أول الواثين . كان له أسلوب بارع وقد اتحنى للمشاهدين على الجانبين ، لأن دماً نبيلاً كان في عروقه ، وقد اعتاد مجتمعات البشر وهذا له تأثير كبير .

ثم جاء نطاط الحقل .. كان أثقل لكنه كان متأنقاً وارتدى زياً أخضر يملكه منذ ميلاده ، وقل إنه ينتمي إلى أسرة مصرية عريقة ، وإنه في الدار التي نشأ فيها كان ينظر له كشيء عظيم . المشكلة هي أنه جنب حالاً من الحقل ووضع في بيت من الورق المقوى ارتفاعه ثلاثة طوابق . بنى من ورق اللعب بحيث كانت الصور تتجه للداخل . وقد أقطعت للنوافذ من جسم (ملكة القلوب) .

قال :

« أنا أغنى بصوت حسن .. والستة عشر نطاط حقل التي ظلت تصفر منذ طفولتها ، لم يبل واحد منها بيتاً من ورق اللعب ، وقد هزلت بسبب غيظها لسماع صوتي .. »
هكذا قدم البرغوث ونطاط الحقل نفسيهما ، واعتقد كلاهما أن لديه الحق للزواج بالأميرة .

لم يقل الضفدع القفاز شيئاً لكن الناس قدروا أنه يطمح لما هو أكثر ، وحينما تشمعه كلب الأسرة بأنفه اعترف بأن الضفدع القفاز من أسرة كريمة .

لما المستشار العجوز فقال إن الضفدع عراف موهوب لأنك تستطيع إذا رأيت ظهره أن تعرف إن كان الطقس سيكون سيئاً أم معتدلاً .. وهذا ما لا تجده حتى على ظهر الرجل الذي يكتب التقويم ذاته .

قال للملك متعجباً :

« لن أقول شيئاً .. لكن لي رأيي مع ذلك .. »

الآن جاء وقت الامتحان ، ووثب البرغوث عالياً حتى إن أحداً لم ير أين ذهب ، وحسبوا أنه لم يثب قط . كان هذا مهيناً .

وثب نطاط الحقل نصف هذه المصافاة ، لكنه وثب في وجه الملك الذى وصف ما حدث بأنه تصرف غير مهذب وقف الضفدع النطاط ساكناً وقتاً طويلاً شارد الذهن ، حتى اعتقد الكل أنه لن يثب .

قال كلب الأسرة :

« فقط أمل أنه ليس مريضاً .. »

هنا . بوب ! بوثة جانبية صار على حجر الأميرة التى كانت تجلس قريباً على مقعد ذهبي .

هنا قال الملك :

« ليس من شيء أعلى من ابنتى .. لذا أعتبر هذه أعلى قفزة حدثت .. إن المرء يجب أن يبدى حسن الفهم ، وقد أظهر الضفدع أنه يفهم حقاً . إنه شجاع مثقف . »

هكذا فاز بالأميرة .

قال البرغوث :

« الأمر عندى سيان . لقد فاز الضفدع القفاز ربما إلا أنني كنت الأعلى وثباً ، لكن التميز قلما يلقي جائزته في هذا العالم . الناس لا تنظر إلا إلى المظهر الخارجى لصن .. »

ثم غادر البرغوث البلاد ليعمل مع الأجانب . ويقال إنه قتل .

وجلس نطاط الحقل فى الخارج على ضفة خضراء وفكر فى مشغول الدنيا . ثم قال :

« نعم . إن المظهر الحسن هو كل شيء .. هذا ما يهتم به الناس .. »

وبدأ يفضى أغنيته الحزينة التى منها عرفنا قصته ، والتى ربما تكون كاذبة تماماً برغم أنها موجودة هنا وقد طبعت بالحبر .

سأل الصبي :

- « هل سأسمع قصة خيالية ؟ »

- « نعم .. لكن لو أخبرتنى . لأننى أريد أن أعرف عمق
المزrab الذى تعبره فى الشارع وأنت ذاهب إلى المدرسة .. »

قال الطفل :

- « يصل لارتفاع حذائى ذى العنق .. لكن بعدها لابد أن
أنزل فى حفرة عميقة .. »

قال العجوز :

- « هلم ! من هنا ابتلت قدمائك ! الآن يجب أن أخبرك
بقصة لكن ليست عندي قصص أخرى .. »

قال الصبي :

- « يمكن أن تؤلف واحدة فوراً .. تقول أمى إن كل ما
تتظر له يمكن أن يصير قصة .. وإنيك تستطيع العثور على
قصة فى كل شيء .. »

- « نعم .. لكن هذه القصص لا تصلح .. القصص الجيدة
توجد من تلقاء نفسها .. إنها تدق على جبينى وتقول :
ها نحن أولاء ! »

شجرة الورد

ذات مرة عاش صبي صغير أصيب بالبرد . كان قد خرج
وقدماه مبتلتان برغم أن أحداً لا يعرف السبب لأن الطقس
كان جافاً . لذا نزعته أمه ثيابه ووضعته فى الفراش
وجلبت إباء الشاي لتعد له بعضاً منه . فى هذه اللحظة جاء
العجوز اللطيف الذى يعيش فى الطابق العلوى وحيداً ..
لأنه لم يتزوج ولم يرزق بأطفال .. لكنه كان يحب الأطفال
حباً جماً ، وكان يعرف الكثير من القصص الخيالية
المتعة .

قالت أم الصبي :

- « اشرب الشاي .. وبعدها قد تسمع قصة خيالية .. »

قال العجوز :

- « لست عندي الجديد لأحكيه .. لكن كيف بلل الصبي
قدميه ؟ »

قالت الأم :

- « هذا هو ما لا يستطيع أحد فهمه .. »

سأله الصبي :

- « ألن تدق قصة قريبًا ؟ »

فصاحت به ووضعت بعض أوراق الورود في البراد
وصبت فوقها الماء المغلي .

- « أرجوك أن تقول لي شيئًا ! »

قال الرجل :

- « فقط لو أن القصص الخيالية تأتي برضاها ، لكنها
معروفة متعروفة لكن لحظة ! وحدثها ' أصغ لي ! هناك
واحدة في براد الشاي ! »

نظر الصبي لي براد الشاي . ارتفع الغطاء أكثر فأكثر
ودت الورود بيضاء نضرة . وخرجت منها أغصان راحات
تنتشر في كل حاتب وتنمو . كانت شجرة ورد جميلة رائعة
وقد أزاحت الستائر جانبًا ما أنصرها ' ويا للرائحة !
ووسط الشحيرة كانت امرأة عجوز ودود في ثوب
عريب كان أحضر كأوراق الشجرة وطرزت عليه
زهور كبيرة . حتى لا تستطيع معرفة هل هي طبيعية
أم مرسومة .

م

سأل الصبي :

- « ما اسم هذه المرأة ؟ »

قال العجوز :

- « الإغريق والرومان يطلقون عليها (درياد)^(*) لكننا
لا نفهم هذا . الذين يعيشون في الأكواخ الجديدة^(**)
يطلقون عليها (العربية العجوز) وهي من يحب أن
تهتم به .. والآن اصغ وانظر إلى شجرة الزهور

« هناك شجار ممثلة موحودة قرب الأكواخ الجديدة تنمو
في فناء تعس صغير . وتحتها جلس عصر يوم عجوزان
ينعنان بلرؤع ضوء شمس بحر عجوز عجوز وزوجته
العجوز العجوز ..

كان لأحفادهما أولاد وسوف يحتفلان قريبًا بالعيد
الخمسين لزوجتهما . لكنهم عجزا عن تذكر التاريخ .
نظرت الجدة العجوز التي تعيش في الشجرة وقالت :

- « أنا أعرف التاريخ .. »

لكن الزوجين الجالسين بالأسفل لم يسمعا لأنهما كانا
يتكلمان عن زمن ماض .

(*) حورية الغابة .

(**) صف من البيوت تخصص للبحارة في كوبنهاجن .

قال البحار العجوز :

« نعم .. ألا تتذكرين عندما كنا صغيرين جدًا ؟ كيف كنا نلعب ونركض ؟ كان هذا الفناء ذاته .. وقد صنعنا حديقة هنا .. »

قالت زوجته العجوز :

« بلى . أتذكر هذا جيدًا .. لقد سقينا عقل النبات وكانت واحدة منها شجرة ورد .. وقد خرجت منها أغصان خضر ، ثم نمت منها الشجرة العملاقة التي نجلس تحنها نحن الشيخين .. »

قال :

« أكيد .. وهناك في الركن كان دلو ماء كنت أجعل قواربي الصغيرة تسبح فيه .. »

قالت هي :

« حقًا .. لكن أولاً ذهبنا للمدرسة لتتعلم شيئًا . ثم عندما .. لقد بكينا ، لكننا ذهبنا عصرًا إلى البرج للمستنير حيث وقفنا ننظر إلى (كوبنهاجن) ، ثم إلى (فريدريكسبيرج) حيث كان الملك والملكة يبحران في قاربهما الراج . »

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ١٢١

« لكنني جربت رحلات أفضل من هذه بعد ذلك .. »

قالت :

« نعم . ولكم من مرة بكيت من أجلك . حسبتك مت ورحلت ، أو أنك ترقد في قاع المحيط . كم من ليلة صحويت فيها لأرى ما إذا كنت الريح قد تغيرت .. وقد تغيرت كثيرًا لكنك لم تأت قط .. أذكر ذات ليلة كان المطر ينهمر فيها سيولاً ، وكان اللاجنون يقفون على أبواب البيت الذي كنت أؤدي فيه الخدمة .. هنا جاء ساعي البريد وأعطاني رسالة .. كنت منك ! فتحتها وقرأت بكيت وضحكت ! فيها قرأت لك في أرض دفينة حيث تنمو أشجار البن .. لا بد أنها أرض مباركة ! وحكيت لى الكثير . قرأت كل شيء والمطر ينهمر . هنا جاء شخص احتضنتني .. »

« نعم .. لكنك وجهت له لكمة على أذنه حتى أصدرت صغيرًا .. »

« لم أعرف أن هذا أنت .. لقد وصلت مع خطبك . وكنت وسيمًا جدًا وما زلت .. حول عنقك كان ميدل أصفر طويل .. وقبعة جديدة . كنت جريئًا أتيقًا ! »

قال لها :

- « بعدها تزوج هل تذكرين ؟ » ورزقنا بأول طفل لنا ..
ثم (ماري) و (سيكولاس) و (بيتر) و (كريستيان) .
- « نعم وقد كانوا يصيرون رجالاً محترمين ، وكنا نلقى
الحب من كل اتجاه . »

- « وأطفالهم رزقوا بأطفال .. »

- « نعم .. هم أحفادنا .. كلهم قوة وعافية . »

- « اليوم بنذات هو الذكرى الخمسون للزواج »

هذه العشرة الأخيرة كانت من الجدة العجوز التي قصت
رأسها بين الاثنين ، فحسبا أن الجار هو من أخبرهما بهذا .
تصادف المظرات ثم أمسك كل بيد رفيقه . بعد قليل جاء
أطفالهما وحدهم . لأنهم كانوا يعرفون أن هذه ذكرى
الزواج الخمسون أرسلت شجرة الورد رائحة عطرية
قوية في الشمس الموشكة على الغروب . سقطت أشعتها
على وحشي الروحين فنديا متوردي الخدين . ورقص أصغر
الأحفاد حولهم ، وأعلن أن شينا رائعا سيتم الليلة .
سوف يظفرون جميعا بوجبة من البطاطس المسخنة هزت
الجدة رأسها وصاح الزوج : مرحى !

قال الصبي الذي كان يصفى لهذه القصة :

- « لكن هذه ليست قصة خيالية .. »

قال للراوى :

- « الأساسى هنا أن تفهمها فنسأل الحدة »

قالت للمربية :

- « ليست قصة خيالية .. إنها حقيقة أفضل القصص
الخيالية نشأت من الحقائق ونو لم يكن ذلك كنت لما
نمت شجرة الورد هذه من برك الشاي .. »

ثم رفعت الصغير من الفراش ووضعت على صدره . والتفت
حولها أغصان شجرة الورد المفعمة بالورود حلت في
مسكن في الهواء ، فخلق بهما كن هذا جميلاً وهدية
صارت المربية العجوز عذراء جميلة شابة . لكن ثوبها ظل
ذات الثوب الأخضر بزهوره البيض على صدرها كانت زهرة
حقيقية وفي شعرها المتموج إكليل من زهور . كانت عينها
زرقتين حميتين تحب انظر إليهما ، وقد قينت الثنى كن
كلاهما في السن ذات ويشعرن بالشىء ذاته . يدافى يد مشيا
إلى التكية في الحديقة الجميلة . قرب الممر كانت عصا الأب
مربوطة فبت للصغيرين كأنها حية ما بن مروا بجوارها

حتى تحول مقبضها البراق المستدير إلى رأس حصان
يصهل ، ومعرفة سوداء طويلة تتطاير في النسيم ، ومنها
خرجت أربع أقدام رقيقة لكنها قوية . كان الحيوان جميلاً
قوياً ، ومعه انطلقوا يركضون في الزقاق .

وصاح للصبي :

- « مرحى !! نحن ننطلق أميلاً ! ننطلق نحو القنعة
التي كنا فيها للعام الماضي ! »

وانطلقوا عبر المرج المعشوشب ، بينما العذراء الرقيقة
التي - كما نعرف - ليست إلا المربية العجوز تصيح :

- « الآن نحن في الريف .. ألا ترى بيت المزرعة هناك ؟
وهناك شجرة الورد جواره .. والديك ينبش الأرض من أجل
الدجاج .. أنظر كيف يتبختر ! الآن نحن قرب الكنيسة .
إنها تقع هناك بين أشجار البلوط . هذا هو دكان الحداد
حيث تشتعل النار .. وحيث الرجال أنصاف العراة يدقون
بمطارقهم حتى يتطاير الشرر .. بعيداً بعيداً ! »

رأى الصبي كل هذا حقاً .. بعد هذا لعبا في حديقة جاتبية ،
ورسما حديقة صغيرة على الأرض وانتزعا براعم ورد من
شعرها ثم زرعها ، فتمت كتك التي زرعها العجوزان حينما

كنا طفلين مشيا واليد في اليد كما فعل العجوزان في طفولتهما
لكنهما لم يمشيا إلى البرج المستدير أو (فرديريكسبيرج) ..
لقد لفت العذراء ذراعها حول الصبي ثم طارا بعيداً فوق
(الداتمرغ) كلها .

جاء الربيع فالصيف ، ثم جاء الخريف ، وانعكست ألف
صورة في قلب وعيني للصبي . وكنت الفتاة تتقنى له يوماً :
« لن تنسى هذا .. وطيلة طيراتهما كانت رائحة عذبة تلوح
من الشجيرة .. »

قالت له :

- « المكان جميل هنا في الربيع ! »

ووقفوا في غابة من الزان بدأت تكتسى بالخضرة .. حيث
أعشاب (الودراف) تبعث عبقها عند أقدامهما .. والزهور
للحمر تتألق وسط الخضرة .

قالت له :

- « المكان جميل هنا في الصيف ! »

وحلقت فوق القلاع التي شهدت زمن الفروسية الغابر ،
وحيث تنعكس الجدران الحمر والحصون في مياه القتال .

وحيث يسبح البجع . اختلست للنظر إلى الأرقعة الجانبية وفي الحقول كان القمح ينمو كالبحر . وفي الخنادق كانت للزهور الحمر والصقر تنمو . وعندما جاء المساء ارتفع القمر مستديراً كبيراً ، وفاحت رائحة عذبة من أكوام القش في المروج .

قالت له :

« المكان جميل هنا في الخريف ! »

وهنا اكتست الغابة باللون الأحمر والأخضر ، وجاءت الكلاب تتواهب ، وجاءت أسراب من الطيور البرية تحلق فوق النصب الحجري .. كان البحر أزرق غامقاً تغطيه سفن ذات أشعة بيض . وجاء صبية وعجائز .. الصبية غنوا بينما العجائز حكين قصصاً خيالية . كانت تلك القصص تحكى عن جنيات الجبال والعراة ..

قالت له :

« المكان جميل هنا في الشتاء ! »

فتغطت الأشجار بالثلج فبتت كشعب مرجانية بيض . وتهشم الثلج تحت الأقدام ، وبدأ في السماء نجم هاو تلو آخر .. وأضيئت شجرة الكريسماس في الغرفة . وفي الريف تعالى

صوت الكمان في غرفة الفلاح ، وهجم الأطفال على الكعك المخبوز حديثاً . حتى أفقر الصبية قال :

« المكان جميل هنا في الشتاء ! »

نعم . كان جميلاً ..

وقد لفته الفتاة كل شيء وظلت شجرة الورد تبعث عطرها ، ونما الصبي ، ليصير شاباً ولنسوف يذهب ليرى العالم كله . يذهب إلى الأراضي الحارة حيث تنمو أشجار البن . لكن لحظة رحيله أخذت الفتاة برعم وردة من صدرها وأعطته إياه ليقيه معه . فوضعه بين صفحات كتب الصلوات . فإذا فتح الكتاب أثناء سفره كان يفتحه حيث توجد الوردة . وكلما نظر لها أكثر كلما صارت أنضر . كأنها نضارة المروج الدائرية مجسدة ، وبين أوراق الوردة كان يرى العذراء الصغيرة تنظر له بعينيها الزرقاوين .

همست :

« المكان جميل هنا في الشتاء والصيف والربيع والخريف .. »

ثم حلفت ألف رؤيا أمام عينيه ..

هكذا مرت أعوام عديدة وقد صار شيخاً عجوزاً .. وقد

جلس مع زوجته تحت الشجرة المزهرة . اليد في اليد كما فعل الجد والجدة في الأكواخ الجديدة .. وتكلما كما فعلا في الأيام الخوالي . تكلما عن ذكرى زواجهما الخمسين .. جلست العذراء الصغيرة ذات العينين الزرقاوين وبراعم الورد في شعرها فوق الشجرة وقالت :

« اليوم هو الذكرى الخمسون .. »

ثم من شعرها أخرجت وردتين وثمتتهما في البداية تلتقا كالفضة ثم كالذهب وحين وضعتهما على رأسى لشيخين تحولت كل وردة إلى تاج ذهبي . هكذا جلسا كملك وملكة تحت لشجرة العطرة ، وحكى الرجل لزوجته قصة المربية العجوز كما حكيت له صبيا وخيل لهما إنها تشبه قصة حياتهما . والأجزاء التي كانت أكثر شبها هي التي رافقت لهما كثيرا .

قالت العذراء على الشجرة :

« البعض يطلق على (المربية العجوز) والبعض يطلق على اسم (ريباد) لكن في الحقيقة لسمى هو (الذكرى) . فاما من يجلس في هذه الشجرة التي تكبر وتكبر .. فاما تذكر ويوسعي أن أحكى أشياء . ترى هل ما زالت لدى زهور باقية ؟ »

فتح العجوز كتاب صلواته . هناك كان يرغم للوردة نصرا كما وضع من قبل . وأغمض العجوزان عينيهما وكانت تلك نهاية القصة

رقد الصبي في فراشه ولم يدر إن كان هذا حلمًا أم لا ، أو ما إذا كان قد أصغى لقصة . كان يراود الشئ على العنضة لكن لم تخرج منه شجرة ورد . والعجوز الذي كان يحكى كان في طريقه للخروج من الباب وقد فعل ..

قال الصبي :

« ما أروع هذا ! أماء ! لقد زرت البلدان الدافئة .. »

قالت أمه :

« كنت لأعتقد هذا لو شربت مثلك قدحين من شاي الورد .. هذا كاف كي يرتاد المرء البلدان الدافئة .. »

ولفته في الأغطية بإحكام ، حتى لا يبرد . وقالت :

« لقد نمت نوما طيبا بينما أن اجلس هنا أتناقش معه حول هذه القصة .. هل هي قصة عادية أم خيالية .. »

« وأين المربية العجوز ؟ »

قالت الأم :

« في الهراد .. وقد تظل هناك .. »

البطة القبيحة

كان الطقس صيفياً جميلاً في الريف . وقد تكوّن القمح الذهبي والشوفان الأخضر وأعواد القش في أكوام في المرج فبدت جميلة . النلق يمشى على ساقيه الطويلتين ويثرثر باللغة المصرية التي تعلمها من أمه . كان السير في الريف متعة بحق ..

وفي بقعة مشمسة كان بيت مزرعة جميل جوار نهر عميق ، وجوار المنزل نمت أوراق (البردوك) عذبة حتى أن طفلاً يستطيع الاختباء تحت ورقة منها وفي هذا المخبأ المريح جلست بطة في عشها ترقب أفراسها يفتسون . كانت قد بدأت تمل العملية لأن الصغار كانوا بطينين في الخروج ، ولم يكن يزورها أحد ، لأن البط كان يفضل السباحة في النهر على تسلق الضفة الزلقة ، للجلوس معها تحت أوراق البردوك بفرض الثرثرة ..

ومن كل بيضة خرجت بطة صغيرة ثم أخرى نقول : « بيب بيب » قالت الأم : « كوك » ، من ثم راح الصغار جميعاً يقولون « كوك » مثلها ، وراحوا ينظرون حولهم إلى أوراق الشجرة العملاقة . سمحت لهم أمهم بالنظر لأن اللون الأخضر مفيد للعينين .

قال البط الصغير وهو يقارن العالم الواسع الذي خرج إليه بالمكان الضيق داخل البيضة :

« ما أجمل العالم ! »

قالت الأم :

« هل تحسبون هذا هو العالم كله ؟ انظروا حتى تروا الحديقة إنها تمتد حتى حقل الخوري ، لكني لم أجسر قط على قطع هذه المسافة .. هل خرج الجميع ؟ لا ليس بعد . ما زالت أكبر بيضة لم تنفقس بعد ، وأنا قد تعبت .. ترى كم من الوقت يلزمها ؟ »

« كيف حالك ؟ »

سألتها بطة عحوز جاءت لزيارتها فقالت :

« بيضة واحدة لم تنفقس بعد . لكن انظري لهؤلاء . أليسوا أحمل كائنات يمكن أن تربيها ؟ يشبهون أباهم بشدة وإن كنت حنقة عليه لأنه لم يأت ليسأل عني قط . »

قالت البطة العجوز :

« دعيني أر البيضة التي لم تنفقس .. لا شك لدى في أنها بيضة ديك رومي ذات مرة أغروني بالرقاد على

بيض كهذا .. وبذلت جهدي مع الذرية لكنها ظلت تخاف الماء .. دعيني أر .. نعم .. إنها بيضة ديك رومي .. خذي نصيحتي وأتركها حيث هي واذهي لتعلمي الأطفال العباحة .. »

« أعتقد أنني سأرقد عليها .. لقد انتظرت أياماً طويلة فلا فارق في المزيد من الوقت .. »

« كما تريد .. »

في النهاية فقسست البيضة وخرج منها كلن صغير .. « بيب بيب » .. كان كبيراً قبيحاً .. وقد نظرت له البطة في دهشة وقالت :

« إنه كبير جداً ولا يشبه الآخرين .. فساعل إن كان حقاً ديكاً رومياً .. سنرى .. سأخذه للماء ولرى إن كان سيسبح .. »

في اليوم التالي كانت الشمس مبهجة ، لذا أخذت الأم أطفالها إلى الماء ، ووثبت فيه ثم صاحت : « كواك كواك » ، من ثم وثب البيط الصغير واحداً تلو الآخر .. غطست الرعوس تحت الماء ، لكنهم ارتفعوا ثانية وبدعوا يسبحون ببراعة وأرجلهم تجدف من تحت الماء ، وكانت البطة القبيحة تسبح معهم بالسهولة ذاتها ..

قالت الأم :

« آه .. إن هو ليس ديكاً رومياً .. ما أبرعه في استعمال قنميه .. إنه ابنى وهو ليس قبيحاً جداً لو نظرت له بعناية .. كواك كواك ! تعلوا معي لأعرفكم لصفوة مجتمع المزرعة .. لكن أبقوا بقربي وقبل كل شيء خذوا الحذر من القبط .. تنكروا أن تنصرفوا بأدب وأن تحنوا رعوسكم أمام الكبار .. هذه البطة هناك هي أكرمنا محتداً .. إن دماً أسبانياً يجري في عروقها .. ألا ترون العلم الأحمر مربوطاً لقدمها ؟ هذا شرف حقيقي لأية بطّة .. معنى هذا أن أحداً لا يريد فقدها .. تعلموا المشي المهذب .. البطة المتهذبة لا تتنسى أصابع رجلها .. بل تفتح ما بين الأصابع مثلما يفعل أبوها وتعمل لهما .. لحنوا رعوسكم وقولوا : كواك .. »

فعل البيط كما طُلبت لكن البطة الراقية قالت :

« انظروا ! هنا سلالة أخرى كأنما ليس لدينا ما يكفى منهم ! وما أغرب مظهر هذا .. لا نريده هنا ! » ثم طارت وعضت البطة القبيحة في عنقها .

قالت الأم :

« دعيه .. إنه لم يؤذ أحداً ! »

قالت البطة للحقود :

- « أجل . لكنه كبير وقبيح . لذا يجب إبعاده .. »

- « لكنه مهذب ويسبح بشكل ممتاز . أما عن حجمه فالسبب أنه ظل في البيضة أطول من اللازم »

بدأ البط يندمج مع الباقين ، لكن البطة القبيحة التي خرجت متأخرة من البيضة ظلت تتلقى السخرية وتدفع وتعض . ليس من البط فقط بل من كل الدواجن

- « إنه كبير جداً ! »

أما الديك الرومي الذي كان يعتبر نفسه إمبراطوراً فقد نفخ نفسه كسفينة بشراع ، وطار نحو البط وقد احمر رأسه غضباً حتى لم يدر المسكين الصغير لأين يذهب .. لقد ساءت حالته يوماً بعد يوم . حتى إخوته وأخواته لم يعاملوه برقة ، وكانوا يقولون له :

- « أنت مخلوق قبيح .. ليت القط يطفر بك ! »

وقالت أمه إنها تتمنى لو لم يولد . حتى الغدة التي تطعم البط ركلته يحدّثها .

قال لنفسه :

- « إنهم يخافونني لأنني قبيح .. »

وأغمض عينيه وطار مبتعداً .. حتى بلغ مستنقعا يعيش فيه بط برى . هناك قضى ليلته منهكا محزوناً .

في الصباح صحا البط فالتفتوا حوله . بذل جهده ليكون مهذباً لكن البط قال له :

- « أنت شديد القبح . لكن هذا لا يهم ما لم ترغب في الزواج من واحدة من أسيقاتنا .. »

يا للمسكين ! لم يفكر في الزواج قط ، لكنه فقط أراد الإذن بالبقاء بين الأغصان وشرب الماء من المستنقع . بعد أيام جاءت إوزتان صغيرتان إليه .. وكانتا وقحتين حقاً .. وقالت له واحدة منهما :

- « اسمع . أنت قبيح إلى درجة أننا معجبتان بك .. »

هلا أتيت معنا وصرت طيراً مهاجراً ؟ هناك مستنقع بقربنا سوف تحدّد به بعض إوز البرى الجميل ، وهي فرصتك لتظفر بزوجة برغم قبحك .. »

بوب بوب !

دوى الصوت في الهواء فسقطت الإوزتان ميتتين ، وتلون الماء بلغم بوب بوب ! فحلق كل الإوز البرى من الأحراش جاء الصوت من كل صوب لأن الصيادين حاصروا المستنقع وبعضهم جلس على غصون الأشجار .. وارتفع الدخان الأزرق فوق المستنقع على حين حاصرته كلاب الصيد .

لكم أثاروا رعب البطة المسكينة ! أخفت رأسها تحت جناحها ، وفي اللحظة ذاتها مر كلب عملاق أمامها .. كان فكاه مفتوحين ولسانه يتدلى وعينه تلمعان بشكل مخيف . تشمم البطة بأنفه ثم واصل الركض دون أن يلمسها ..

قالت البطة وهي تتهدد :

« آه .. ما أسعدنى بالقبح ! حتى الكلب لم يرض بأن يعضنى ! »

وظلت ثابتة ساكنة تصغى لأصوات الطلقات تتردد .. وقد انتظرت ساعات طويلة حتى بعدما ساد الهدوء ؛ لأنها لم تجسر على الحركة . أخيراً فرت من المستنقع فقط لتواجه عاصفة عاتية .. ظلت تقذفه ، وهي لا تقدر على مقاومتها حتى جاء المساء . فى النهاية بلغت كوخاً بالنسب يبدو آيلاً على السقوط .. وما يبقيه فى مكانه هو أنه لم يقرر الجانب الذى يسقط عليه . جلست جوار الباب المغلق ترتجف من العاصفة .. ثم لاحظ أن هناك فتحة كبيرة تحت الباب تسمح له بالدخول .

كان يعيش فى الكوخ امرأة وقط وبجاجة . كفت المرأة تطلق على القط « ابنى » .. وكان القط محبباً حقاً .. يجيد رفع ظهره ويفرّ ويطلق الشرر من فرائه لو فرسته فى اتجاه خطأ .. أما الدجاجة فكانت قصيرة الساقين وكان بيضها طيباً ..

فى الصباح اكتشفوا أمر الزائر فقر القط ونقت الدجاجة . قالت المرأة :

« ماذا هناك ؟ »

وتفحصت الغرفة لكن نظرها كان ضعيفاً لذا حين رأت البطة حسبتها بطّة كبيرة بدينة وقالت :

« يا لها من جائزة ! أرجو ألا يكون ذكراً لأننى أشتى بيض البط .. منتظر ونرى .. »

لهذا وضعت البطة فى موضع الامتحان ثلاثة أسابيع ، لكنها لم تبض . وكان القط والمرأة يقولان دوماً : « نحن والعالم » بمعنى أنهما كانا يعتبران نفسيهما نصف العالم ..

هكذا جلست البطة فى الركن منخفضة المعنويات حتى جاء النهار . وشعرت برغبة عارمة فى السباحة فى الماء حتى إنها لم تستطع إلا أن تخبر الدجاجة .

قالت الدجاجة :

« يا لها من فكرة سخيفة .. ليس لديك ما تعملين لذا تضيعين الوقت فى التخيل .. لو كان بوسعك أن تقرى أو تببضى لذهبت هذه الأوهام .. »

« لكنه شعور ممتع ! »

« ممتع فعلاً .. اسألى القط فهو أحكم حيوان عرفته ..
اسأليه إن كان يحب أن يسبح ولن أقول رأيي .. اسألى
صاحبتنا العجوز .. هل تحسببيناها تحب السباحة أو تدع
الماء يمس رأسها ؟ »

« أنت لا تلهي متنى .. »

« أنا لا أفهمك ؟ ومن يفهمك ؟ هل أنت أبرع من القط
أو العجوز ؟ كفى عن هذا يا طفلة واحمدى الله على أننا
استقبلناك هنا .. ألا تعيشين فى غرفة دافئة يمكنك لتتعم فيها ؟
لكنك ثرثارة وصحبك غير محببة .. لهذا أتصحبك لمصلحتك
أن تبيضى وتقرى كالقط فى أقرب وقت ممكن .. »

قالت البطة :

« أظن أن على مواجهة العالم من جديد .. »

« نعم .. افعلنى ذلك .. »

هكذا فارقت البطة الكوخ ، وسرعان ما وجدت الماء
الذى تستطيع السباحة فيه ، لكن باقى الحيوانات تحاشتها .
وجاء الخريف .. اصفرت الأوراق ثم صارت بلون الذهب
ثم جاء الشتاء ليطير بها ، ووقف الغراب على الشجر
يصيح « كروك كروك » .. يكفى منظره لجعلك ترتجف .

ذات يوم جاء سرب من الطيور الجميلة التى لم تر البطة
مثلاً . كان هذا بجفاً وقد راح يثنى أعناقهم بينما الريش
الجميل يتألق بلونه الأبيض . كانوا يفردون أجنحتهم
ويطلقون صيحة ثم يطلقون نحو أقطار دافئة عبر البحر .

شعرت البطة بشعور غريب وهى ترى هذه الطيور
الجميلة التى لا تعرف اسمها .. وجدت نفسها ترفع رأسها
وتطلق صيحة أثارت ذعرها هى نفسها .. لقد شعرت نحو
هذه الطيور بأغرب شعور أحسسته من قبل .

يا للطائر النعس ! كان سيقبل حياته مع البط لو أعطاه
أدنى تشجيع .

ازداد البرد ، وصار عليه أن يسبح بإصرار فى الماء
ليمنعه من التجمد ، لكن فى كل ليلة كانت المساحة
المخصصة للسباحة تضيق وتضيق . فى النهاية غلبه
التعب فتوقف فى الماء وبدأ الثلج يحيط به .

فى الصباح مر مزارع ورأى ما حدث .. فهشم الثلج
بحذائه الخشبي وحمل البطة الصغيرة للدار إلى زوجته .
أعاد الدفء الحياة للبطة لكن حينما أراد الأطفال اللعب معه
خاف أن يؤذوه . طار فسقط فى وعاء اللبن وبعثر اللبن فى
الغرفة . صفقت المرأة بكفيها فأفزعه هذا وطار إلى برميل
الزبد ثم إلى إناء الدقيق . يا للحالة التى صار بها !

صاح الاطفال وضحكوا وحاولوا الإمساك به لكنه استطاع الهرب . كان الباب موارباً ففر منه المخلوق النعس فقط ليتوارى بين الأشجار فى الثلج . لو حكيت ما مر بهذا المسكين فى الشتاء القاسى لغمرنى الأسى . لكن حين انتهى وجد نفسه ذات ربيع فى مستنقع . شعر بالشمس الدافئة وسمع غناء الببيل . شعر بجناحيه يكتسبان قوة وهو يحركهما ويرتفع فى السماء .

طار حتى وجد نفسه فى حديقة كبيرة قبل أن يعرف كيف . كانت أشجار التفاح فى ذروة نضجها وبدا كل شيء رائع الجمال فى نضرة الربيع المبكر .

ومن أجمة قريبة جاءت بجعات بيض تسبح فوق الماء الأملس . تذكرت البطة هذه الطيور الجميلة وقالت لنفسها : « سأصبح إلى هذه الطيور الملكية وسوف يقتلننى لأننى قبيحة .. لكن هذا لا يهم .. من الأفضل أن يقتلننى من أن ينقرنى البط ويضربننى الدجاج وتدفعننى الفتاة التى تطعم الدواجن .. »

سبحت نحو البجع فالتفت حولها .. قالت لهم :

« لقتلننى .. »

وغطست برأسها تحت الماء وانتظرت الموت .. لكن ماذا رأت فى صفحة الماء ؟ لم تعد بطة قبيحة منبوذة .. إنها بجعة

رائعة الجمال .. أن يتربى الطائر فى مزرعة لأمر لا يناسبه إن كان قد خرج من بيضة بجعة . إنه الآن مسرور لكل ما عاشه من حزن ومعاناة ، لأن هذا جعله يقدر أكثر الجمال المحيط به . لقد سبح البجع حول القادم الجديد ودغدغوا رأسه بمناقيرهم ، وبعد قليل وصل بعض الأطفال إلى الحديقة فرأوا يلقون بالكوك والقرز فى الماء ، وصاح أصغرهم :

« أنظروا ! هناك واحدة جديدة ! »

وجروا ليخبروا آباءهم وقالوا :

« البجعة الجديدة هى الأجمل .. جميلة صغيرة لسن .. »

شعرت البطة بالخجل فدارت رأسها تحت جناحها لأنها لم تعرف ما تفعله .. كانت سعيدة لكنها غير مغرورة على الإطلاق .. كانت قبيحة منبوذة والآن يقولون إنها أجمل طائر فى العالم .. هكذا رفعت رأسها وأطلقت صرخة :

« لم أتوقع هذه السعادة قط حينما كنت بطة قبيحة ! »

هانز كريستيان أندرسن

(تواريخ متفرقة)

تحت جمر الله



حكايات أندرسن

مهما كانت جنسيتك أو ثقافتك ، فلابد أنك تحمل في جزء من
خلايا عقلك بعضاً من إبداعات (هانز كريستيان أندرسن) .
هل شعرت يوماً ما بأنك (البطة الصغيرة القبيحة) ؟ هل
سمعت تعبير (الإمبراطور عار تماماً) عندما يعلن أحدهم
حقيقة يخشى الناس الاعتراف بها ؟ هل رأيت فيلم الرسوم
المتحركة (عروس البحر الصغيرة) ؟ إذن أنت قد دخلت ذلك
العالم الساحر دون أن تعرف

55

العدد القادم الستار



مطلوب

هناك وستر
الرسالة العربية السنة
الطريق البحر والبر
٢٠٠٠ - ٢٠٠١
٢٠٠٠ - ٢٠٠١



الذئب في مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم